

باسم الخشن

مانيكان

رواية

إهداء

عام عصيب مر بنا نسأل الله رحمته وأن يكون الأسوأ قد مضى..

نجوت أنا بدعم من الأصدقاء والكثير من الطعام.

فأهدي لمحمد عصمت هذا الكتاب في ذكرى كل قطع السوشي والفراخ الكورية المقلية ومحادثات الهاتف الضاحكة والباكية.

وإلى مصطفى خضر في ذكرى الطعام الهندي والمكسيكي واحتماله لجنوني.

واليك أنت لأنك لم تفقد عقلك مهما خسرنا هذا العام تذكر أننا اكتسبنا كثيرا من ...الوزن.

تمهيد

كان المركز التجاري هو واجهة دينا المفضلة مع والدتها، ولفتاة في السادسة من عمرها كان هذا جنة الله في الأرض، الأضواء والألعاب، أصباغ الأظافر زاهية الألوان والحلويات اللذيذة الملونة، والأحذية الجديدة المضيئة، وأحدث أفلام الرسوم المتحركة، والطعام الشهي، ما الذي يمكن أن تحتاجه دينا أكثر من ذلك؟! تتبع كل أوامر ماما بالحرف الواحد، فحين غضبت ماما آخر مرة قطعت رحلتهما إلى المركز التجاري وعادت بها إلى المنزل، حيث لم تتوقف دينا عن البكاء للحظة حتى صباح اليوم التالي، الأمر الذي أزعج ماما أكثر، وقررت حرمانها من الذهاب إلى المركز التجاري لمدة أسبوعين انتهيا ليلة أمس.

لا ركض داخل المركز، ولا صريخ بصوتٍ عالٍ، والانتباه دائمًا إلى مكان وجود ماما.

تتلكأ ماما أمام واجهة محل أزياء ترى فيه حقيبة تعجبها، تشعر دينا بالحنق؛ لأن فيلم ديزني الجديد على وشك أن يبدأ؛ لكنها لا تستطيع أن تُبدي أي تذمر كيلا تضايق ماما.

تقف كفتاة مهذبة في انتظار قرار ماما إن كانت ستشتري الحقيبة أم لا.

تستمر ماما في توجيه الكثير من الأسئلة للبائع والدقائق تمر سريعًا، ولن يكون هناك وقت كافٍ لشراء الفشار والصودا قبل دخول الفيلم.

في بعض الأحيان تشعر دينا أنها لا تحب ماما، تحاول دينا ألا تزعج ماما، فتذهب إلى ركن المتجر لتتحسس أقمشة الأثواب زاهية الألوان.

تحب دينا اللون البرتقالي كثيرًا.

تُطيل دينا الوقوف وتمل وتفكر أنه يحق لها على الأقل أن تخبر ماما أن قدميها تؤلماها.

تلتفت لتنادي ماما لتجد أن البائعة تقف وحيدة.

في هلع تركض في أنحاء المتجر مناديةً على ماما..

لا يُوليها رواد المتجر انتباهًا في البداية، ثم تبدأ في الصراخ والبكاء في هيستيرية باحثة عن ماما.

هي لا تريد مشاهدة فيلم ديزني الجديد، ولا تريد الفشار..
هي تبحث في الوجوه من حولها عن والدتها فقط

كل الوجوه تنظر لها نظرات شفقة؛ لكن ليس منها وجه تألفه.

ثم تتعلق عيناها بوجه مصمت خالٍ من المشاعر؛ لكنه يبدو

مألوفًا.. يشبه وجه والدتها.

حين تركض لتمسك بأقدام صاحبة هذا الوجه تكتشف أنها ليست هي، بل مجرد مانيكان ملابس لا يشبه شيئًا مثل ماما.

-1-

يتأفف رأفت ناظرًا إلى ساعته، وهو واقفٌ على السلالم المتحركة، أمامه فتاتان يقطعان عليه الطريق أن يصعد راكضًا؛ كي يلحق هو وزينب السينما لحجز تذاكر فيلم الرعب الجديد، الذي يتوقا لرؤيته منذ الإعلان عنه العام الماضي.

تقول له زينب مهدئة:

- لا يزال هناك ١٥ دقيقة على بدء الفيلم، كما أن هناك ٢٠ دقيقة أخرى من الإعلانات.

يهدأ رأفت قليلًا ويقرر ألا يدفع كلا الفتاتين اللتين تسدان الطريق أمامه من فوق السلم، وقد تذكر أنه بالفعل هناك ما لا يقل عن عشرين دقيقة من الإعلانات سوف تسبق الفيلم.

عشر دقائق منها مخصصة للإعلان عن قاعات العرض الجديدة ذات البُعد الخامس.

يتمتم بصوتٍ عالٍ:

- أتعلمين أن السبب الوحيد الذي قد يجعلني أشاهد فيلمًا في قاعة العرض خماسية الأبعاد تلك؛ أنني لن أضطر لمشاهدة إعلانها قبل بدء الفيلم.

كانا قد وصلا للدور المطلوب وخرجا أخيرًا من خلف

الفتاتين يسرعا الخطى تجاه شباك قطع التذاكر؛ بينما تقول زينب له:

- لا أريد أن أقتل أحلامك؛ لكني ذهبت أنا وميرنا لمشاهدة فيلم هناك، لأجدهم يعرضون الإعلان نفسه في قاعة العرض متبوعًا بإعلان آخر مطول لتوضيح الفرق بين التجربة السينمائية حين تهتز المقاعد، والتجربة السينمائية دونها، قد حصلوا على أموالنا بالفعل، ونحن الآن داخل قاعة العرض، ولا يزالون يحاولون إقناعنا أنها فكرة جيدة أن تهتز بك المقاعد طوال الفيلم!

واقفان في طابور التذاكر أخيرًا يلتفت رأفت ليسألها: وهل كانت فكرة جيدة؟

- قطعًا لا.. ميرنا شعرت بالغثيان بعد أول نصف ساعة من الفيلم، وأنا كدت أجن من صوت الأزيز.

يهز رأفت كتفيه قائلًا:

- هذا يفسر احتياجهم لكل تلك الإعلانات.

ثم يشير بيده:

- فلتصطفي مع السيدات، فصفهن يتحرك أسرع.

تتحرك على الفور لتأخذ مكانها، وبالفعل تصل زينب إلى

الشباك قبل وصول رأفت، وما إن يراها قد وصلت حتى يبتسم تاركًا موقعه لمن يليه، منتظرًا إياها بجوار مدخل قاعة العرض.

دقائق وتنضم زينب له، وعلى وجهها تعبير لا يستطيع رأفت فهمه.

فيسألها رأفت: ماذا؟

تقول له:

- هل قلت لك قبل ذلك إني أكره المراكز التجارية؟

ينظر رأفت لساعته سريعًا في نفاد صبر.. ثلاث دقائق على بدء الإعلانات المملة.

- نعم يا زينب.. طوال الوقت.

فتقول له:

- أشعر دائمًا أن أرواحاً شريرة تتملك هذا المكان، كل تلك الرأسمالية قد تجمعت في مكان واحد؛ تؤثر على الأشخاص بداخلهم.

- زينب.. الفيلم على وشك البدء.. إعلانات مملة أم لا أريد أن أكون بداخل القاعة الآن.

ترفع إصبعها قائلة:

- أخبرك بذلك كي تفهم أن ما حدث لم تكن رغبتي، إنها تلك الأرواح الشريرة قد تملكتني.

ينظر لها في عدم فهم لتُكمل:

- حسنًا.. كانت هناك تذكرة واحدة متبقية، قالتها مشيرة للتذكرة الوحيدة التي في يدها.

- فعلًا يا زينب!

يقولها بعدم تصديق؛ لتقول مدافعة عن نفسها: ما الذي تنتظره مني، هناك الكثير من المقاعد الشاغرة في حفلة منتصف الليل.. وأنا لا يمكنني التأخر عن المنزل، أنت ذكر استغل ما أعطته إياك الطبيعة من مميزات.

في إحباط يقول لها:

- ألا يمكن أن ننتظر لحفلة غد أو بعد غد لنشاهد الفيلم سويًا؟

تقول له باستهزاء وهي تتحرك بالفعل تجاه الباب:

- كُف عن المزاح يا رأفت، إن الفيس بوك وتويتر مليئان بالمحادثات عن نهاية الفيلم الصادمة، لن أحتمل الانقطاع عن وسائل التواصل أكثر من ذلك؛ كيلا يحرق أحدهم عليّ

نهاية الفيلم.

وصلت له آخر كلماتها وهي بالفعل داخل طُرقة قاعات العرض.

محبطاً جرجر أذيال الخيبة ليأخذ دورًا جديدًا في شباك التذاكر؛ ليحجز حفلة منتصف الليل،

وقت خروج الحفلة التي تسبق منتصف الليل وجد وجه زينب بين الجموع الخارجة من الفيلم، لتتقدم منه قائلة:

- كان ذلك محبطًا.

في سرعة وضع يداه فوق أذنيه:

- لا تقولي هذا.. لا تُفسدي الفيلم عليّ.

أنزلت ذراعيه قائلة:

- أنا لا أفسد عليك شيئًا؛ فقط انزل بتوقعاتك كثيرًا.. هل سأراك غدًا؟

أشار لها برأسه وهو يقول:

- نعم نعم بالتأكيد.. أعتقد أن موسى سيكون موجودًا أيضًا.

- رائع، ليلة سعيدة.

قالتها ورحلت، بينما اتجه هو داخل طرقة العرض ليجد قاعة العرض الخاصة به؛ جلس في مقعدة متحمسًا لأنه سيرى الفيلم الذي انتظره لعام كامل.

-2-

استيقظ رأفت على حركة رواد الفيلم من حوله وهم يلملمون أشياءهم، وكلهم بادٍ عليهم الإحباط؛ بعضهم متأفأفًا، وآخرون يسخرون من أحداث الفيلم.

أما هو؛ فقد غط في النوم منذ بدأ الفيلم مرة أخرى بعد الاستراحة؛ فقد كان الفيلم مملًا لدرجة غير محتملة، بينما بدأ رأفت يومه باكرًا جدًا.

يتأكد أنه لم يفقد أي شيء أثناء نومه، وحين يتأكد من ذلك يقوم متكاسلًا يلوم نفسه أنه لم يشاهد أي من المراجعات على الإنترنت قبل دخول الفيلم كي يحظى بالتجربة كاملة، وحتى ذلك لم يحدث فقد نام من الضجر، وربما من بعض التعب أيضًا؛ فلم يعرف حتى ما الذي حدث في نهاية الفيلم.

مع خروجه من قاعة العرض يشعر أن أمعائه تصرخ بأنه يحتاج إلى الذهاب للمرحاض الآن.

وأن جسده الواهن لن يحتمل الانتظار حتى يصل إلى المنزل، لعنة الله على الـ»فاست فوود» وآكِلِها.

يقسم أغلظ الأيمان أنه لن يقربها مرة أخرى وهو في طريقه نحو حمامات السينما؛ لكنه يعلم أنه سوف يحنث بهذا

القسم سريعًا.. في المرة المقبلة التي ستصل إلى أنفه رائحة الدجاج المقلي الشهي.

يُخرج هاتفه وهو جالس فوق المرحاض، ويبدأ في تصفح صفحات مراجعات الأفلام ليجد أن الجميع بلا استثناء قد كرهوا ذلك الفيلم! ويتمكن أيضًا من مشاهدة مقطع مُسرب لنهاية الفيلم على يوتيوب، وكانت هي الأخرى محبطة بشكل كبير.

استمر في التصفح آملًا أن ينتهي سريعًا حتى يخرج عائدًا لفراشه الوثير الذي يحتاجه بشدة الآن.

***

يصحو رأفت مرة أخرى ويأخذ عدة ثوانٍ ليستوعب الظلام الدامس الذي يغرق كل شيء.

لا يفهم لماذا هو جالس على مرحاض في ذلك المكان المظلم. يصطدم بالواقع فجأة ويشعر بحماقته لأن النعاس غلبه مرة أخرى أثناء وجوده في المرحاض.

يغتسل سريعًا ويلتفت ليرفع سرواله ليسمع شيئًا ثقيلًا يرتطم بالمياه، يفوت قلبه خفقتين وهو يدعو ألا يكون قد حدث ما يخشاه.

لكنه يتحسس جيبه بسرعة ويحرك قدمه في كل الأنحاء باحثًا عن هاتفه، ليتأكد أن ما سقط في المرحاض كان الهاتف بالفعل.

صراعٌ نفسيٌ شديدٌ ما بين إنقاذ هاتف ثمنه لا يقل عن ستة آلاف جنيه، وبين تجربة مقززة ستظل معه طوال العمر.

في النهاية يخبط رأسه في باب المرحاض، ويفتحه ليخرج متحسسًا مكان صنبور المياه في الظلام ليغسل يداه، ويبحث عن مخرج الحمام، في الطرقات يكتشف أنه قد غفا لوقت طويل؛ فهناك فقط ضوء خافت يضيء الممرات، ولا أثر لأي من العمال من حوله.

حاول أن يتمالك أعصابه لتحديد أولوياته.

هل يتحرك في اتجاه البوابات للخروج؟ لكن إذا وصل إلى البوابات فسيكون من الصعب إقناع مسؤول الأمن بالعودة معه لفتح أنوار الحمام ومحاولة إنقاذ هاتفه.

نظر حوله مرة أخرى شاعرًا بالضيق؛ لأن الحل الوحيد سيكون الابتعاد عن السينما، وعن موقع هاتفه لكن لا يبدو أن هناك حلًا آخر يمكنه التفكير فيه الآن.

مع كل خطوة يخطوها اتجاه البوابات لا ينفك مفكرًا بمئات الأشياء المهمة التي كانت موجودة على هاتفه.

متى كانت آخر مرة احتفظ فيها بنسخة من البيانات المسجلة على الهاتف؟ أكان ذلك الأسبوع الماضي؟ أم الشهر الماضي؟

كانت عيناه قد بدأتا الاعتياد على الظلام والرؤية في الأضواء الخافتة المتناثرة في طرقات المركز التجاري.

يُفكر: ماذا لو ظن أفراد الحراسة أنه لصّ انتظر عن عمد حتى موعد الإغلاق، وليس كونه في هذا المأزق نتيجة تقصير أيًّا من كانت مسؤوليته أن يتأكد أنه لا يوجد شخص بالغ مصاب بالإسهال، يغط في النوم في حمام المركز التجاري قبل إغلاقه؟

وصل للبوابة الرئيسية التي اعتاد أن يخرج منها ليجد بوابة حديدية داخلية مغلقة، فاتجه على الفور للبوابة التي تليها ليجد الشيء نفسه معه ومع ثلاث بوابات أخريات.

لم يشعر باليأس في التو، وفكر قبل أن يتجه للجزء الشرقي من المركز التجاري ليرى إذا كان هناك أي شخص عند البوابات؛ فرُبما عليه أن يُلقي نظرة على البوابة التي تفصل بين المركز التجاري والفندق الذي يجاوره؛ فهناك مدخل مباشر بين المبنيين.. ربما يجد أحد أفراد شرطة السياحة هناك، أكثر ما يضايقه أنه لا يستطيع حتى معرفة

الوقت.

يُسرع الخطوات نازلًا للطابق الأرضي حيث يوجد المدخل المشترك.

يلاحظ عند وصوله إلى الطابق الأرضي أن السوق المركزي الموجود بالمركز لم يكن مغلقًا بتلك الستائر الحديدية الموجودة على كل بوابات المحلات الأخرى، فقط سلسلة حديدية تمتد بين عمودي الدخول، وهناك أضواء زرقاء خافتة تنبعث منه بفعل المبردات.

يستطيع أن يرى من مكانه مبرد المياه الغازية ويشعر حينها بجفاف حلقه.

هل له أن يأخذ زجاجة ماء من واحدة من تلك المبردات؟ سيترك ثمنها؛ لكنه فعلًا يشعر بصحراء في حلقه.

يأخذ أولى خطواته من فوق السلسلة الحديدية في حرم السوق؛ لكنه يقف ثابتًا في مكانه قدمٌ في الداخل وقدمٌ في الخارج مفكرًا في كل كاميرات المراقبة التي تُسجل خطواته الآن وتُزيد من موقفه سوءًا لو أخذ أي شيء.

يكاد يلتفت ليخرج بعيدًا عن السوق؛ حين يسمع صوت حركة داخل داخله.

- مرحبًا.. هل يوجد أحد هنا؟

ينادي بصوتٍ عالٍ ويرفع صوته أكثر قائلًا: لقد كنت... محبوسًا في الحمام وأُغلق المركز عليّ.. مرحبًا...

ما زال يسمع صوت الحركة، ولم يكن بصوتٍ رتيبٍ مثلًا ليفترض أنه صوت ماكينة ما؛ بالتأكيد هو صوت حركة شخص.

يفكر أنه ربما بعض الموظفين يقومون بتفريغ البضائع بالداخل.

لحظة أخرى من التردد قبل أن يحسم أمره، ويتجه لداخل السوق من جديد باتجاه الصوت الذي سمعه ، كان هناك شعور متزايد بعدم الراحة من كونه في مكان اعتاد على الوجود فيه وسط جمع من الناس.. لم يكن يتخيل أبدًا أن يمشي في تلك الممرات وهي خالية ومظلمة مثلما هي الآن.

يمر من تحت ضوء أزرق شاحب آخر.. تلك المرة كان ينبعث من صاعق للحشرات الطائرة يطلق أزيزًا مزعجًا، يُنهي ممرًا ويدخل التالي مقتربًا أكثر من الصوت ناحية المخازن، لقد تأخر ذلك الشعور بعدم الراحة والتوجس، حينما استيقظ لأن عقله كان مشغولًا بكارثة الهاتف الغارق.

لكن الآن ومع كل خطوة يصفى عقله ويشعر بسوء موقفه.

يرى قسم اللحوم أمامه، وبجانبه مدخلًا متوسطًا يؤدي للمخازن الخلفية، وهناك ستارة من الشراشف البلاستيكية تفصل بينه وبين باقي السوق.

حتى دون الصوت الذي يسمعه بالتأكيد قادم من داخل المخزن؛ فبالتأكيد هناك طريق خروج لأرصفة التحميل من هنا، يزيح الستارة البلاستيكية الشفافة متقدمًا داخل المخزن ليأتي صوت مفاجئ من خلفه، فيتقهقر سريعًا في اتجاه الصوت ليجد عربة تسوق في الممر الذي أتى منه في التو ملقاة على جانبها، وعجلاتها لا تزال تدور؛ فينادي سريعًا: السلام عليكم... لقد فقدت طريقي ولا أعلم كيف أخرج من هنا.. مرحبًا؟

يمد الخطوات سريعًا لنهاية الممر حيث يتوقع وجود المصدر الذي جاءت منه العربة، يتنفس الصعداء عندما يرى ظلًا يدفع عربة تسوق عند قسم الأدوات المنزلية على بعد عدة أمتار.

يُهرول سريعًا في اتجاه الرجل: آ.. لو سمحت.. أريد مساعدتك.

لا يتحرك الرجل وكأنه لا يسمعه، يصل رأفت خلفه تمامًا، ويمد يده ليجذب انتباهه؛ لكن قبل أن تلمس أطراف أصابعه

الشخص الماثل أمامه؛ يشعر رأفت أن هناك شيئًا غير طبيعي في هذا الرجل بالإضافة إلى ثباته غير المعقول.

يقترب منه أكثر ليفاجئ أن الظل لم يكن لشخص؛ بل لمانيكان ملابس؛ لكنه قطعًا من بعيد يبدو كشخص.. يستغرب رأفت وجود ذلك المانيكان في ذلك الجزء من السوق؛ لكن صوت حركة عجلة تسوق آتٍ من ممر بجانبه يجعله لا يُكمل الفكرة ويتحرك مهرولًا مرة أخرى ليلحق بالشخص الذي بالتأكيد ضعيف السمع أو ربما يرتدي سماعات على أذنه، يمر بعدة ممرات قبل أن يرى أخيرًا ضالته المنشودة.

هناك.. الظل الذي يتحرك، وأمامه عربة تسوق؛ لكنه بالتأكيد ليس مانيكان هذه المرة.

فإنه يرى الظل أمامه يتناول شيئًا من على رف ممر أدوات المطبخ.

يقترب رأفت بسرعة محاولًا ألا يثير رعب العامل إذا كان يرتدي سماعات؛ فبالتأكيد لا يريد أن يفاجأه في الظلام.

يحاول أن يصنع أكبر قدر ممكن من الضوضاء وهو يتقدم نحوه.

- آ.. يا صديقي أحتاج إلى مساعدتك حقًا.

يقولها بصوتٍ عالٍ ويقترب أكثر من الظل الذي يلتفت ناحيته في اللحظة نفسها التي يستمع لها لشيء يبدو وكأنه ماس كهربائي من خلفه؛ فيلتفت للحظة ليجد أنه صاعق الحشرات قد تحصَّل على ضحية ويبدو أنها ذبابة كبيرة من علو صوت الأزيز المفاجئ.

يعود بنظره للعامل ليصدم بكون الظل الذي أمامه هو مانيكان آخر.

يشعر رأفت بالتوتر وفي ذهنه تدور الاحتمالات، كونه يهلوس، وأن الظلام يوحي له بأشياء؛ لكن حتى لو أوحى له الظلام؛ ما الذي يفعله مانيكان هنا! وهو يكاد يقسم أنه شاهده يتناول شيئًا في الظلام.

يتحرك ليقترب منه أكثر لينظر إلى الشيء الذي هُيئ إليه أنه تناوله وقت اقترابه منه، ليجد في يد المانيكان ساطور تقطيع لحم كبير.

تتعالى نبضات قلب رأفت حتى صار يسمعها بأذنه، لا يرفع عينيه من على نصل الساطور وهو يتراجع بخطوات بطيئة للخلف يريد أن يرفع عينيه لينظر لوجه المانيكان مرة أخرى؛ لكنه يشعر أنه إذا فعل ذلك سيزيد من سوء خيالاته فبالتأكيد كل ذلك في عقله.

مكملًا تقهقره حريصًا على ألا يصطدم بشيء خلفه؛ وألا يرفع عينيه من فوق نصل الساطور، مقررًا أنه سيعود للمركز التجاري ليبحث عن مخرج أفضل من وجوده في السوق.

أزيز آخر يخطف عين رأفت للحظة، ويعود سريعًا للنظر للمانيكان الذي لم يعد موجودًا.

يسيطر الهلع على رأفت.. خيالات أم لا فهو يطلق ساقيه للريح في اتجاه صناديق الكاشير، ليخرج للمركز.

يعلو صوت صرير الرخام تحت أقدامه وهو يركض في اتجاه المدخل المشترك، من قبل أن يصل يمكنه أن يرى الأقفال على البوابة الزجاجية التي تفصل بين المبنيين؛ لكنه يستمر في اتجاهه للمدخل، وما إن يصل حتى يخبط بقوة بقبضته على الزجاج.

نصفُ آملٍ أن يتهشم بفعل خبطاته، ومحاولًا أن يُهدئ نفسه حتى لا يدخل في نوبة هستيرية كاملة.

بالتأكيد ما رآه لم يكن حقيقيًا هي فقط خيالات ناتجة عن تناول طعام سيئ ونوم أثناء فيلم رعب هابط.

يتمنى لو يحصل على رفاهية الشك أنه يحلم الآن؛ لكنه للأسف برغم الظلام والأضواء الخافتة التي تحيط به متأكد مئة بالمئة أن ذلك ليس بحُلم.

يشعر بألم يتصاعد في ذراعه وعظام قبضته مع زيادة وحشية لضرباته على الزجاج.

كان الزجاج عاكسًا للمركز من خلفه ويرى في تلك الانعكاسات ألف شبح يطارده.

يقرر رأفت أن يستند بظهره على أحد الأعمدة، وأن يتوقف عن النظر لانعكاسات الزجاج؛ فتلك الانعكاسات دائمًا تثير الجنون أو الرهبة سواء كانت هنا في الظلام وهو يجلس وحيدًا باحثًا عن مخرج، أو في مرآة غرفة نومه ليلًا.

دائمًا هناك شيء ما ينتظر على حافة الانعكاس، ينتظر فقط أن يلتفت بعيدًا.

- حسنًا..

يفكر رأفت: عليك بالهدوء، أنت فقط تُخيف نفسك، فلتتحلَ ببعض العقل، وفكر.. يمكنك الانتظار هنا في ذلك الركن الآمن حتى الصباح، المشكلة أنك لا تعرف متى يأتي الصباح، لا يوجد مكان واحد يمكن أن ترى فيه الوقت، هل أُغلق المركز لتوه، أم ضوء الفجر سيتسلل من فتحات السقف في أي لحظة الآن.

فعلًا لا مجال لأن يعرف ذلك.

- كم مر من الوقت؟ هل جلست الآن؟ لدقيقتين؟ أم أن نصف ساعة قد مرت منذ أن رأيت ذلك الـ.. تلك الهلاوس.

كان يمكنه من موقعه أن يرى المدخل الأخير للسوق التجاري، وشعوره بذلك يزيد من توتره.

- حسنًا.. تغيير في الخطة.. هذا المكان لا يشعرني بالأمان. أعتقد أنه لو فصلني دور أو دورين عن السوق سأشعر أنني أفضل حالًا.

بالفعل يتحرك من مكانه صاعدًا للدور الأول.

كان تصميم المركز التجاري يحرص دائمًا أن يجعلك تأخذ دورة كاملة في الطابق قبل أن تصل للسلالم، التي سوف تأخذك للطابق الذي يليه؛ ولأن ذلك كان واحدًا من أكبر المراكز التجارية في مصر؛ فأنت تحتاج لعدة دقائق مهرولًا كي تصل إلى السلالم المؤدية للطابق التالي.

لم يكن رأفت في عجلة من أمره للهرولة، كان يريد التأكد أنه يستمع جيدًا لأي حركة من حوله.

بعض البارانويا لن تضر أبداً..

صار الآن متأكدًا أن ما رآه كان مجرد هلاوس.

في الطابق الأول كان هناك عدة كافيهات مغلقة؛ لكن

الكراسي كانت مرصوصة كما هي في الخارج.

لم يشعر رأفت أنه سيكون مرتاحًا في حال جلس فوق واحد منهم خصوصًا أنها تقع في المنتصف بالضبط، حيث لا يمكنه أن يتابع كل الاتجاهات، تمنى ساعتها لو ترك واحد من تلك الكافيهات زجاجة مياه في أي من تلك المبردات الموجودة في الخارج؛ لكن للأسف لم يكن هناك أي شيء داخل المبرد المغلق.

يتبع ذلك عدة محلات ملابس أطفال، ويجاورهم ملاهي مصغرة يستخدمها رواد المول كمركز حضانة لترك أطفالهم.

يتوقف رأفت للحظة متذكرًا رؤية ساعة كبيرة داخل ساحة الملاهي تلك، رآها حين اصطحب أولاد أخيه للتنزه.

لم تكن هناك بوابة لساحة الملاهي؛ فقط مدخل كمدخل محطات المترو يعمل بالبطاقات الممغنطة؛ فتمكن رأفت بسهولة من القفز من فوقه متجهًا داخل مدينة الملاهي المصغرة.

- أين كانت تلك الساعة؟

يتساءل متمتمًا لنفسه.

الإضاءة الخافتة كانت موجودة هنا ومن حوله عدة ألعاب،

يتذكر كم خاب أمله حين أخبروه أنه لا يمكنه استخدامها حيث إن طوله وعمره بالطبع تخطى الحد المسموح بخمسة عشرة عامًا على الأقل.

لأقل من ثانية فكر لو كان بإمكانه الآن أن يستمتع بكل تلك الألعاب وحده.. لكن لا.. ما الذي يمكن أن يكون مقبضًا أكثر من مركز تجاري مغلق وأصوات ألعاب الملاهي دائرة في داخله.

لسبب ما فإن كل تلك الأشياء المبهجة في الصباح تصير كابوسية حين ينزل ستار الليل، ويختفي البشر من حولك، أنت وحدك في مدينة الملاهي مخيف.. بالتأكيد مخيف.. حتى أسوأ الكوابيس كان دائمًا كونه وحده على شاطئ البحر والأمواج تتضخم تتضخم حتى تأتي وتبتلعه.

ومن منا لا يخاف من البحر ليلًا!

وا المهرجون أيضًا تراهم في الصباح.. بل في الحقيقة صباحًا أو ليلًا فأنا لا ينتابني أي شعور سوى الخوف من رؤية المهرجين.

وبالحديث عن المهرجين ها هي الساعة.. ينظر رأفت للساعة الكبيرة المعلقة فوق نقطة استبدال الهدايا بداخل الملاهي، التي كانت مكونة من صورة مهرج عملاق العقارب

عبارة عن إصبعين من أصابعه.

يبدو أن هناك عطبًا ما في تلك الساعة، فالعقربان يتحركا سويًا وكأنهما يطاردان بعضهما البعض.

وفجأة توقف العقرب الكبير أولًا عند الثانية عشر، واستمر العقرب الثاني في الحركة حتى توقف فجأة عند الثالثة، وأتى من الساعة صوت فرقعة مكتومة كادت تصيب رأفت بالسكتة القلبية، ومن جانب الساعة وكأنه يخرج من العقرب الصغير خرج علم أحمر فوقه رسم دائري، وصوت ضحكات مرحة متقطعة تأتي من الساعة.

يبدو أن رأفت لم يسمع صوت تلك الساعة في وسط ضوضاء النهار حين جاء هنا سابقًا؛ لكن مع اقترابه قليلًا وتدقيقه في العلم وجد أن الرسم غريب جدًا؛ لقد كان الرسم لمهرج في جانب رأسه الأيمن فأس مغروسة، لم يؤثر على بسمة المهرج المخيفة.

- أي مريض يضع مثل تلك الرسمة للأطفال.

كانت تلك اللحظة التي جاءت فيها هزيز كالذي سمعه في السوق من صاعقة الحشرات، التفت في تلقائية لمصدر الصوت، وقبل أن يستوعب الصوت التفت مرة أخرى مع صوت أعلى مع عربات السباق، التي قررت في تلك اللحظة

أن تبدأ في الحركة.

-3-

متسمرًا في مكانه ظل «رأفت» يحاول أن يفهم كيف يمكن أن يكون قد تسبب في ذلك؟ كيف عادت تلك الأضواء؟ وكيف بدأت تلك العربات في الحركة؟ وما سبب وجود مانيكان دون ملابس عليه وسط عربات السباق تلك، يواجهه بملامحه المصمتة ويده الثابتة كأنما تشير له بالخروج.

بمجرد أن استطاع أن يخرج من صدمة المفاجأة انطلق «رأفت» راكضًا لاعنًا في سره جسده البدين وهو يتمتم: لا تحدث تلك الأمور لموسى، فقط تحدث لي، كان ليقطع موسى تلك المسافة في خطوتين.

يلمح بطرف عينه شيئًا يثير انتباهه في كابينة شراء التذاكر ذات الواجهة الزجاجية، يقف رأفت متغلبًا على غريزة البقاء التي تدفعه دفعًا للخروج؛ فقد رأى هاتفًا أرضيًا داخل الكابينة.

يدفع بجسده باتجاه الكابينة الزجاجية، يحاول فتح الباب ليجده مغلقًا بالطبع.

يستند بجسده ورأسه على الباب وقد قرر أنه مهما حدث لن ينظر خلفه، فرغم أن المكان وهو شبه مظلم كان مخيفًا، فإن عودة الأضواء وأصوات الألعاب الآن كانا أكثر سوءًا.

يجري في رأسه حسابات سريعة، عن تكلفة هذا الباب إن حطمه الآن ليصل إلى هذا الهاتف.

على الرغم مما قرره من عدم الالتفات فإنه يلتفت للحظة واحدة يشعر متأملًا المانيكان الواقف في مكانه؛ لكن يكاد أن يُقسم أن يده قد تحركت شبرين أو أكثر عن موضعها السابق.

تهيئات أم لا ذلك كان يكفيه أن يعود خطوتين للوراء ويلقي بكامل جسده على الباب، الذي لم يحتج أكثر من تلك الدفعة لينخلع من مكانه، ويتمكن رأفت من الدخول.

يرفع سماعة الهاتف ليضعها على أذنه بسرعة، ثم تتحرك يده ناحية الأرقام قبل أن تتجمد ثابتة حيث يدرك أن هاتفه المحمول ليس مجرد وسيلة اتصال.

صوت الحرارة في أذنه بعد لحظات يتحول إلى عدة نغمات متقطعة، أذ إنه قضى وقتًا أطول من اللازم في تذكر رقم.. أي رقم...

يغلق السماعة متسائلًا إن كان مكالمة لمركز الشرطة ستنتهي به بقضاء ليلة أو اثنين في زنزانة جراء ما ارتكبه من آثام.

ثم يحاول محاولة أخيرة، يرفع السماعة ويترك العنان لذاكرته العضلية، ففي زمن بعيد جدًا وقبل عصر الهواتف

المحمولة اعتاد أن يخابر «موسى» على الهاتف الأرضي بشكل شبه يومي، فقط يحتاج أن يضيف رقم ٢ أم كان ٣ على بداية الرقم ويغمض عينيه تاركًا أصابعه تتحرك في طريقها.

تتوالى الرنات حتى ينقطع الخط دون إجابة ليحاول مرة أخرى ثم أخرى، وحين كاد اليأس يتملكه جاء صوت موسى:

- آلو؟

كادت الكلمات تختنق في حلقه وهو يقول: موسى أنا رأفت، أنا في حاجة إلى مساعدتك، علقت في المركز التجاري ولا تسألني كيف، أحتاج أن تأتي لتجد أي عامل من الممكن أن يُخرجني.. أرجوك.. أتوسل إليك أن تُسرع.

ليجيء صوت موسى:

- ماذا؟ رأفت؟!

يتمالك رأفت أعصابه وهو يقول: نعم أنا رأفت، أرجوك استيقظ واسمع كلماتي جيدًا، أنا عالق في المركز التجاري وأحتاج أن تُخرجني من هنا.

لحظات صمت قبل أن يأتي صوت موسى مرة أخرى: لماذا تتصل على الهاتف الأرضي؟

يشعر رأفت بأعصابه تنهار ليسقط جالسًا على مقعد موظف الكاشير، ويقول: أردت أن أحيي عادة قديمة، فأنا أشعر أن الهواتف المحمولة قد أخذت منا الكثير، وأنا سآخد روحك إن لم تفق حالًا وتحضر إلى المركز التجاري قبل أن أجن.

ليأتي صوت موسى تلك المرة أكثر تركيزًا: رأفت هل أنت بخير؟ أين أنت؟

كانت تلك اللحظة التي فكر فيها رأفت أن الحياة داخل المركز التجاري للأبد لن تكون بذلك السوء، على الأقل لن يحتاج إلى رؤية أصدقائه مرة أخرى، ويضطر إلى قتلهم كواجب مقدس من أجل الإنسانية.

أطلق زفيرًا طويلًا وخبط رأسه مرتين بالمنضدة الموضوع فوقها الهاتف قبل أن يقول: مساء الخير موسى؟ معك رأفت صديقك. لظروف يصعب شرحها أنا... الآن... عالق... في... المركز... التجاري... أحتاج... لأن تأتي وتُخرجني، أرجوك تحرك.

لحظتا صمت مرت كدهر قبل أن يقول موسى: كيف علقت في المركز التجاري؟

رجت صرخة رأفت أرجاء الكابينة الصغيرة، قبل أن تتحول تلك الصرخة إلى كلمات تنهال على رأس موسى: تعال يا

أحمق، وأخرجني من هنا.. أكاد أجن إن لم أكن قد جُننت فإني أتخيل المانيكانات تتحرك و...

توقف رأفت فجأة عن الصراخ بعد أن رفع رأسه متأملًا الزجاج الذي أمامه.

فأمامه ب بالضبط كان مانيكان سيدة و مانيكان طفل بجوارها لا يفصل بينهما إلا زجاج الكابينة ليهمس رأفت: ليست خيالات، المانيكانات تتحرك.

-4-

«الهاتف الذي طلبته ربما يكون مُغلقًا أو غير مُتاح..».

لم ينتظر انتهاء الرسالة الصوتية، ضغط الزر الأحمر الذي ظَهر على شاشته ليُنهي المُكالمة، أغلق عينيه وهو يشتهي استكمال نومه، لعل تلك المُكالمة كانت أضغاث حلم قَلِق!

«الهاتف الذي طلبته ربما يكون...»

أنهى المُكالمة مرة أخرى وهو يزفر بحنق، معتدلًا في الفراش ليفتح قائمة الأسماء المحفوظة على هاتفه، محاولًا إجبار عينيه على التركيز لالتقاط اسم المتصل.

مر عليه عدة مرات قبل أن يستوعب عقله الاسم «زينب الراعي».

اختلس نظرة صغيرة إلى الساعة، مفكرًا في مدى تقبل زينب لاتصال في مثل هذا الوقت المتأخر، لم ترفضه لأسباب أدبية، ففي الأغلب سترفضه لاحتياج فسيولوجي قوي للنوم.

تردَّد للحظة لكنه غالب تردده أخيرًا وضغط على زر الاتصال.

جاء رنين الهاتف طويلًا كأنما يوضح له مدى الإزعاج

الذي يسببه للمتصل الآن، تتوالى الرنات حتى تتوقف فجأة، ويومض الهاتف بإشعار أنه لا إجابة.

أُسقط في يديه فإن زينب كانت آخر من رأى رأفت، وأي تصرف سيأخذه الآن يعتمد على معلومات يحتاجها منها.

ينظر إلى الهاتف في يده مرة أخرى مقررًا أن يعاود الاتصال من جديد، ليفاجئ به يبعث للحياة مُطلِقًا رنينًا مميزًا، واسم زينب الراعي مرتسم فوق الشاشة.

أجاب في سرعة ليأتيه صوت زينب الخامل وهي تقول:

- آلو.

- ألو.. زينب، أنا آسف على الاتصال بكِ في مثل هذا الوقت المُتأخِّر.

أتاه صوتها مليئًا بالقلق هذه المرة وهي تقول:

- لا بأس، ماذا حدث؟

تردَّد قليلًا قبل أن يسألها:

- هل.. هل تعرفين أين رأفت الآن؟

صمتت قليلًا، ربما كانَت تُفكّر في إجابة لسؤاله، وربما كانَت تُفكّر في مدى حماقته وسذاجته، قالت بقليلٍ من الضيق:

بالتأكيد لا أعرف!

انتبهت لأمرٍ مهم بعد أن أنهت جُملتها، فسألت في قلقٍ لم تحاول أن تُخفيه: «لماذا تسأل؟ ما الأمر؟».

قال وقد انهارت محاولاته لإخفاء توتره الشديد: «لقد اتصل بي منذ قليل، من رقم أرضي غريب، وقال إنه محبوس داخل المركز التجاري ويريد مني أن أذهب لإخراجه».

أتاه ردها بعد لحظات وهي تقول: «بالفعل.. آخر مرة رأيته فيها كان في المركز التجاري، ذاهبًا لحضور عرض سينمائي... لكن.. كم الساعة الآن؟».

- «تخطينا الثالثة بدقائق».

- «عرض منتصف الليل إذن قد انتهى منذ أكثر من ساعة، وأغلق المركز التجاري أبوابه!».

يزداد توتره وهو يقول: «يبدو أنه لا يزال في المركز التجاري».

سألته في عدم فهم: «كيف حبس نفسه بالداخِل؟».

- «لا أعرِف يا زينب، لم يُخبرني أي تفاصيل».

- «هل حاولت الاتصال به على هاتفه؟».

لماذا تطرح تلك الأسئلة كأنها أفكار عبقرية؟ إنها بديهيات!

ثم يشعر بالخجل من ذاته أن ما يعتقده هو بديهيًّا هي أمور أخذ وقته في استيعابها، لا بد أنه كان بالحماقة ذاتها وقت محادثته مع رأفت.

قال بهدوء بلهجة معتذرة وكأنها سمعت ما دار في ذهنه:

- «أجل، حاولت أن أتصل به على هاتفه المحمول؛ لكنه مغلق أو غير مُتاح، من المُمكِن أن يكون قد فقده، أو أن يكون شحنه انتهى أو شيء من هذا القبيل، حاولت كذلك إعادة الاتصال على الرقم الأرضي الثابِت الذي كلمني منه؛ لكن يبدو أنه خط داخلي كُل ما أعرفه أنه حبيس المركز التجاري».

- «هذا أمر غريب!».

فكَّر في إخبارها بما قال رأفت عن المانيكانات، وكيف انقطعت بهم المكالمة؛ لكنه قرَّر أن يؤجِّل الأمر ليجيب شاردًا:

- «أجل بالفعل.. أمر غريب للغاية!».

سألته وقد بدأ النوم في الهروب من عينيها وانجلى الكسل من نبرات صوتها:

- «ماذا سنفعل الآن؟».

صمت قليلًا، كأنه يُفكِّر حقًا.

لكنه لم يجد سوى شيء واحد فقط يجب أن يفعلوه.. ودون تردُّد!

قال بصرامة:

- «يجب أن نذهب لإخراجه من هناك».

صمت قليلًا قبل أن يُضيف:

- «والآن!».



-5-

تحت مائدة أحد المطاعم في المركز التجاري كان رأفت قد تمكن من حشر جسده الممتلئ، محاولًا السيطرة على هلعه وأنفاسه المتلاحقة، في الشهور الماضية كان قد رأى الكثير مع زينب وموسى؛ لكن الأمر الآن يختلف وهو وحيد ومعزول، كان الاهتمام بالماورائيات ممتعًا طالما كان في الإطار النظري، وطالما كان كل من يقابلون هم حفنة من النصابين يستمتع رأفت بكشف حيلهم، حتى تلك الليلة المشؤومة التي غيرت كل شيء، واللعنة التي حطت بهم.

لكن الذي يمر به الليلة أهو جزء من تلك اللعنة؟ أم هو أمر مختلف ذو طبيعة خاصة؟

ينفض تلك الأفكار عن ذهنه وهو يقرر أن ذلك ليس حقًا الوقت المناسب للتحليل، سيملك الكثير والكثير من الوقت بعد أن يخرج من هنا، ليكتشف سبب ما يراه، ثم يشعر بثقل على قلبه وهو يفكر «إذا خرج من هنا».

«لا.. بالتأكيد سأخرج» يقولها بصوتٍ هامس، ثم يسأل نفسه بالصوت ذاته: «فلنجعل السؤال كيف سأخرج من هنا؟».

لم يكن رأفت ليملك جراءة كافية ليعود للهاتف الذي تركه

وفر هاربًا، ولا يحبذ فكرة أن يتجول هائمًا على وجهه في أروقة المركز التجاري باحثًا عن هاتفٍ آخر، يحتاج خطة وهدفاً حتى وإن كانت لن تنجح، فعلى الأقل يكون أمرًا يصب فيه تركيزه حتى يأتي النهار؛ فلا بد من أن يأتي نهار.

بالطبع هناك أملٌ خافت ينبض في صدره، أن موسى قد يتحرك بناءً على مكالمتهما التي لم تكتمل، ولن يعودا للنوم مرة أخرى؛ لكنه يدع هذا الأمل دون تعلق ويفعل الشيء الذي يُجيده «تحليل الموقف».

كحقل الألغام أأمن طريق هو الطريق الذي مر به بالفعل، فالعودة من الطريق نفسه قد تضمن بشكل بسيط ألا يواجه مفاجآت أخرى، فقط سيتجنب دخول منطقة الأطفال الترفيهية، وسيكون بخير.

كان قراره في الوقت الحالي أنه سيعود لقاعات العرض، وينتشل هاتفه بأي طريقة متغلبًا على أي اشمئزاز يعتريه مهما تطلب الأمر سيستعيد هاتفه.

يخرج زاحفًا من تحت المائدة ويستمر في الزحف حتى يخرج من منطقة المطاعم، ثم يقرر أنه من السخف أن يستمر في الحبو طوال الطريق، ينتصب واقفًا بهدوء صعوبة في الوقت نفسه، حريصًا على أن يُبقي عينيه على نقطة محددة أمامه؛ فأثناء حبوه هُيئ له أنه قد رأى سلويت

شخص واقفًا بين موائد المطاعم، وكان قد قرر أن ما لا ينظر له مباشرة فهو غير موجود.

خدمته تلك التقنية كثيرًا في طفولته، حين كان يشعر بوجود وحوش الظل في غرفته فيغلق عينيه ويغطي رأسه على الفور.

ولم يستطع حينها أي وحش أن ينال منه؛ فبالتبعية سيحاول ألا ينظر في اتجاه أي تكوين قد يكون لواحد من أولئك المانيكانات، لم يكن ذلك سهلًا بالطبع؛ ففي المركز التجاري ٨٠٪ من المتاجر هي متاجر ملابس.

لا حاجة للرؤية لتعرف أن هناك من يراقبك، ذلك الشعور الغريزي بأسهم تخترق مؤخرة عنقك،

وهو يشعر الآن بعشرات من تلك السهام؛ لكنه حافظ على ثبات عينيه أمامه وخطواته البطيئة.. حافظ عليهما لوقت كبير قبل أن يحتاج إلى أن يلتفت لينزل السلالم للوصول للطابق الأرضي، حينها رأى.. أربعة مانيكانات ملقين على الأرض، تبعثرت أجزاؤهم، فقد انفصلت الرأس عن الجسد، والأقدام عن الوسط، ومانيكان خامس يقف فوقهم مرتديًا سترة غامقة وفي يده ساطور عملاق.

لم يتجمد رأفت تلك المرة، بل انطلق قافزًا من فوق السلالم

قفزًا، وما إن وصل إلى نهايتها حتى استمر في الركض في اتجاه قاعة العرض، متسائلًا إن كانوا يطاردونه الآن أم لا.

كانت إضاءة الأرضية الخافتة في مدخل قاعات العرض تُمثل الآن ضوءًا باهرًا بعد اعتياد عيني رأفت على الظلام.

لم يتوقف للحظة حتى وصل إلى الحمام، الذي كانت مرآته الكبيرة لحسن الحظ تعكس بعضًا من إضاءة الأرضية الخارجية إلى داخله،

يلتف حوله متأكدًا من عدم وجود مانيكانات قاتلة تقضي حاجتها، قبل أن يفتح الصنبور ويصب ماءً باردًا على رأسه ووجهه، مستعيدًا أنفاسه.

بطرف عينه يلمح دولابًا في الركن - خُصص لأدوات الصيانة والتنظيف - مغلق بقفل، وإلى جواره ممسحة خشبية.

يتناول الممسحة بسرعة، وبعد محاولتين يستطيع أن يَقسم اليد إلى نصفين، ثم يغرس واحد من تلك النصفين في حلقة القفل، ويميل عليها بكل عزمه، احتاج تلك المرة إلى أكثر من ست محاولات قبل أن يستسلم القفل الرديء، لينزعه، ويفتح الدولاب ليجد عدة لفافات من المحارم الورقية، وبعض سوائل التنظيف، ثم يجد أفضل شيء في

الكون بالنسبة إليه الآن؛ قفازات صيانة جلدية طويلة.

يتمتم كلمات شكر لله قبل أن يتناول تلك القفازات ويشمر عن أكمامه مرتديًا إياها ببعض الصعوبة.

بوجود القفازات لم يكن الأمر صعبًا؛ فقط احتاج لقليل من الشجاعة وأن يتوقف عن التفكير تمامًا، أن يجعل من ذهنه صفحةً بيضاء لا تُفكر فيما تقوم به يداه.

استطاع التقاط الهاتف، وألقى به إلقاءً في الحوض فاتحًا صنبور الماء مخاطرًا بأن يزيد الأمر سوءًا.

لقد دفع آلاف الجنيهات في ذلك الهاتف، واعدين إياه أنه يقاوم الماء، فكان يرجو أن تكون كل كلمات الدعاية تلك صادقة.

جفف الهاتف بالعديد من المحارم، ورغمًا عنه اشتم الهاتف متأكدًا أنه لم تعلق به أي روائح، ثم جلس في ركن الحمام، انتظر لدقائق قبل أن يحاول أخيرًا أن يفتح الهاتف...

لا شيء... لا شيء تمامًا...

-6-

وقف موسى في انتظار زينب تحت منزلها، الذي كان لحسن الحظ قريبًا من المركز التجاري.

لم يكن من السهل بالطبع على زينب إقناع أهلها بحاجتها الملحة للنزول من البيت في مثل هذا الوقت، فكّرت في البداية أن تخبرهم أن صديقة لها في حالة صحية سيئة؛ لكن بما سيُفيد نزولها الآن؟ لينقلونها إلى أقرب مشفى وتطمئن عليها في الصباح.. كانت فكرة مرفوضة.

فكَّرت كذلك في إخبارهم أن هناك لصًا قد اقتحم مطعمهم.. لكن والدتها ستهرع لتُحدِّث حسنين في الهاتف، تعتبره أمها مُساعِد وزير الداخلية أو شيئًا من هذا القبيل، بينما الحقيقة هي أن حسنين يختبئ كُلما رأى أمين شُرطة! بالطبع كانت هذه فكرة مرفوضة أخرى!

قررت في النهاية أن تتسلل للخارج داعية ربها بالستر، وألا يقرر أحدهم الاطمئنان عليها وقت صلاة الفجر، وحين يستيقظوا ستخبرهم أنها احتاجت إلى النزول باكرًا للتريض قبل العمل.

كان القلق يأكل موسى وقت انتظاره، ولم يتوقف لحظة عن محاولة الاتصال بهاتف رأفت.

زفر موسى في ضيق وهو يتفقد يمينه ويساره متسائلًا عن تأخير زينب.

الوقوف مكتوف اليدين في ذلك الطريق الخالي من البشر ولسعات البرد التي لا ترحم، وأعصابه تكاد تحترق قلقًا على صديقه كان أكثر مما يمكنه احتماله.

إن موسى رجل أفعال وليس أفكار وتخطيط، ماذا لو كان صديقه يواجه بوابة من بوابات الجحيم بمُفرده الآن؟

لكن لا!

لو كان الأمر كذلك لذكره رأفت؛ لكن رأفت اكتفى بأن يطلب منه أن يأتي ليُحرره من المركز التجاري فحسب.

وبالطبع هناك أمر المانيكانات؛ لكن هذا في الأغلب خياله يعبث بعقله.

بالتأكيد ظلال أو شيء ما...

أين أنت يا زينب؟

رآها تقترب من بعيد أخيرًا، تُسرع الخطى وهي تقترب منه، تتلفَّت حولها في قلقٍ وفزعٍ، لان قلبه قليلًا حين رأى قلقها، قالت وهي تصافحه:

- «هل من جديد؟».

- «لا، لا جديد».

سارا سويًا دون أن يتبادلا أي كلمة، كان كلاهما منشغلًا بحالة رأفت الآن لكن كان هناك قلق زائد لدى زينب أن تقابل شخصًا يعرفها وهي بصحبة موسى في مثل هذا الوقت.

وصلت سيارة الأجرة على ناصية الشارع، لتقلهما إلى المركز التجاري، طوال الطريق استمرا في صمتهما.

أنزلهما السائق أمام بوابة المركز التجاري، وتبعهما بعينيه بفضول لعدة ثوانٍ، ربما يستوعبا أن المركز لا يفتح أبوابه في مثل هذه الساعة ويقررا العودة معه مرة أخرى.

لكن حين استمرا في خطواتهما الواثقة تجاه البوابة الداخلية للمركز التجاري ضرب السائق كفًا بكف، منطلقًا في حال سبيله.

بالقرب من البوابة الداخلية كان هناك كشك أمن، سعل موسى وهو يقترب منه كي يُلفت انتباه رجل الأمن الذي افترض أنه نائم بداخله؛

لكن الكشك كان فارغًا مثلما فرغ رأس موسى من الأفكار الآن، يتبادل النظرات مع زينب وهو يقول:

- «والآن؟».

مطت شفتها السُفلى وهي تهز كتفيها، ماسحًا بعينيه يمينًا ويسارا بحثًا عن رجل الأمن وهو يقول:

- «ربما ذهب ليقضي حاجته أو لشراء سجائر».

أومأت زينب برأسها وهي لا تزال تتلفت حولها: «ليلة غريبة!».

قرَّر أن هذا هو الوقت المُناسِب ليُخبرها بما سَمِع من رأفت، قال بقليلٍ من التردُّد:

- «هناك ما سيجعلها أكثر غرابة».

انعقد حاجباها وهي تتأمله قبل أن تقول:

- «ماذا تقصد؟ ما الذي تُخفيه عني؟».

ارتبك وهو يتذكَّر الطريقة التي لطالما استجوبته بها أمه حينما يخطئ، يبدو أنها غزيرة أنثوية، قال:

- «لقد أخبرني رأفت بشيء ما في نهاية المكالمة.. لكنني غير مُتأكِّد ما إذا كان قد أخبرني به حقيقي أم تراها مُجرَّد...».

لم تُمهله الوقت الكافي ليُنهي جُملته وهي تقول:

- «ما الذي قاله لك يا موسى؟ ماذا تُخفي؟».

تردَّد قليلًا لكن مع نظراتها المشتعلة، رفع يديه في استسلام قائلًا:

- «حسنًا.. حسنًا، سأخبرك».

لم تتبدل نظراتها النارية، فأشاح هو بوجهه لينظر داخل المركز التجاري المُظلم متابعًا:

- «ربما يكون قد ذكر شيئًا عن أن.. أن المانيكانات ودمى العرض عادت إلى الحياة وبدأت في مُطاردته.. على ما أعتقد!».

مرت ثوانٍ وهي تتأمله دون أن تنبس ببنت شفة، لم تكُن تعرف التصرف المُناسِب، وهي تحاول استيعاب ما ألقاه عليها..

مُقارنةً بما خاضوا خلال الأسابيع القليلة الماضية.. فما يقول ربما كان حقيقة، لقد رأوا ما هو أغرب وخاضوا ما هو أعجب من بضع دمى عرض تتحرَّك!

في النهاية وجدت صوتها وهي تقول بقلقٍ بالغٍ:

- «علينا أن نُخرج رأفت من هنا».

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تُضيف:

- «قبل فوات الأوان».

ينطلقا باحثين عن فرد أمن عند البوابة الثانية؛ لكن كمثيلتها كانت مُغلقة بالطبع، دون أي أثر لرجال الأمن، توارى الهلال خلف غيمة كثيفة ليزداد الليل إظلامًا، والقلق يهلك قلبيهما، يركضان مرة أخرى نحو البوابة الثالثة.. والرابعة.. والخامسة...

وصولًا للبوابة السادسة.. الأخيرة!

وقف يلهث وهو يستنِد إلى ركبتيه مُتسائلًا:

- «والآن؟».

قاومت إرهاقها وهي تقول من بين أنفاسها المُتلاحقة:

- «لا أعرف!».

أطلق سُبة من بين شفتيه وهو يقول ملتقطًا أنفاسه:

- «أين ذهب رجال الأمن؟ كيف يتركون المركز التجاري هكذا دون أي حراسة؟!».

يسكت قليلًا حتى تعود أنفاسه إلى وتيرتها الطبيعية، ثم يقول بعد قليل من التردد:

- «سنتسلل إلى داخل المركز التجاري، لا أرى حلًا آخر».

هزّت رأسها سريعًا وهي تقول:

- «بالطبع لا، هذا أمر لا نقاش فيه، لن نستطيع اقتحام المركز التجاري وإلا عرَّضنا أنفسنا للمُساءلة القانونية، بالداخل مئات المحلات التي تحتوي على بضائع تقدر بملايين الجُنيهات، وبكُل تأكيد هناك كاميرات مُراقبة تُحيط بالمركز التجاري من جميع الجهات الأفضل أن نُبلِّغ الشُرطة».

- «وماذا سنقول لهم؟ صديقنا حبيس المركز التجاري ويلعب الغُميضة مع دمى العرض؟».

أدركت مدى صعوبة الأمر، صمتت وهي تُراقِب نظراته لبوابة المركز التجاري، بعد دقائق من الصمت المُزعِج قالت وقد أدركت أن الاتصال بالشرطة هو أنسب حل:

- «نعم، سنخبرهم أن صديقنا غلبه النوم بداخل المركز التجاري، وإن عليهم إخراجه قبل أن تنتابه نوبة هلع».

يسخر منها:

- «هل تظنين أن الشرطة ستهرع إلى هنا لإخراجه؟ هل تظنين أن من سيتلقى مكالمتك سيعرف ما نوبة الهلع من الأساس؟!».

ترمقه بنظرة باردة وهي تقول بسخط: «علينا تجربة الأمر كي نعرف النتيجة».

- «حسنًا».

تهم زينب بالاتصال برقم الشرطة ليوقفها موسى:

- «انتظري قليلًا...».

يخرج علبة سماعاته اللاسلكية ويناولها أحدها ويضع الثانية في أذنه.

تقول في تهكم:

- «أحب إنفاقك للأموال الطائلة على أشياء لا معنى لها».

يضرب موسى بأصابعه رقم الشرطة فوق شاشة هاتفه وهو يجيبها متجاهلًا سخريتها:

- «بعض الأشخاص يسخرون من الأشياء فقط التي يخافون منها أو التي لا يستطيعون تحمل تكلفتها».

يأتي رنين الهاتف طويلًا وثقيلًا ومزعجًا حتى يجيبها أحدهم أخيرًا.

- «١٢٢ كيف نستطيع مساعدتك؟».

ترتبك زينب عندما يشير لها موسى بأن تتولى دفة الحديث فتقول بنبرة متقطعة: «مرحبًا، صديق لي حبيس المركز التجاري بمنطقة شمال القاهرة، لا يوجد أي أفراد أمن بجوار

البوابات».

- «حسنًا لم يتبق كثير على موعد فتح المركز التجاري بإمكانه الانتظار حتى يصل أفراد الأمن أو يُفتح المركز في الصباح».

- «لكن صديقي مريض.. يحتاج إلى أدويته».

تقاطعها المجيبة: «برجاء التوجه إلى أقرب قسم شرطة لعمل محضر كي تستطيع الجهة المختصة التحرك».

- «ألا يمكنني تقديمه الآن من الهاتف؟ يمكنني أن أملي عليك رقم بطاقتي وعنواني وكل المعلومات اللازمة».

- «للأسف يجب أن تحضري بنفسك».

يرمقها لها موسى بنظرة «لقد أخبرتك بذلك» لاويًا شفتيه في لا مبالاة، لتنهي زينب المكالمة متمتمة بكلمات شكر يكسوها الإحباط،

تعطي له سماعته قائلة بتشوش:

- «ماذا سنفعل الآن؟ وكم من الوقت يستطيع رأفت صمود وحده بالداخل؟».

- «لا أريد أن أكون مُحبطًا؛ لكننا لا نستطيع الذهاب إلى مركز الشرطة، ذلك سيستغرق ٤٠ دقيقة على الأقل، وربما

ساعة في عمل المحضر.. لن ينجو رأفت من وسط الجنون الذي يواجهه في الداخل، ربما علينا اقتحام البوابة».

يسقط فاهها في دهشة وهي تسأل:

- «هل جننت الآن! إنها جُنحة! ربما نُحبس ستة أشهرا».

- «أقدر اطلاعك على القانون».

- «بالله عليك لا تسخر مني الآن، لماذا ترغب في اقتحام البوابة؟ لن تستطيع اختراقها على كل حال.».

- « أعرف هذا؛ لكن محاولتنا لكسر القفل أو القفز من فوق سور البوابة سيطلق أجهزة الإنذار، عندها سوف يأتي رجال الأمن الذين يتجمعون في مكان ما يمارسون طقوسهم الخاصة بعد منتصف الليل تاركين البوابات تحرس نفسها».

- «لماذا لم يحاول رأفت اقتحامها إذن من الداخل مطلقًا أجهزة الإنذار موفرًا هذا العناء؟!».

- «هذا لا يهم الآن، نحن لسنا بالداخل لنعرف ما يمر به الآن، ربما تمكنوا منه ونحن نتجادل بشأن من عليه أن يفعل ماذا.. دعينا نركز على هدفنا الأساسي، انتظري هنا، ودعيني أقترب من البوابة لأحاول مناداة أي شخص يمكنه سماعي».

تنشغل زينب بهاتفها في محاولة يائسة للاتصال برقم رأفت

الذي يظل «مغلقًا أو غير متاح...» في الوقت الذي يقترب فيه موسى من بوابة المركز التجاري ثم تسمع صوت طرقات معدنية عالية.

تلتفت زينب لتجد موسى ممسكًا بأحد الأحجار يضرب به فوق حديد البوابة.

تركض زينب نحوه ثم تجذب الحجر من يده قائلة:

- «ماذا تفعل؟!.. هل تريدهم اتهامنا بتخريب الممتلكات؟!».

- «إذا كانت الشرطة غير راغبة في الحضور، إذن علينا إجبارهم على ذلك».

- «ليتهموننا بما شاءوا ويتهمون ذلك المسكين بالداخل».

يجذب الحجر من جديد من يد زينب وهو يقول:

- «لا أهتم حقًا».

لا يعود لضرب البوابة به من جديد، بل يمد يده ملقيًا الحجر بكل ما يملك من قوة نحو البوابة الداخلية داعيًا أن يصيب أي زجاج ويهشمه؛ لكنه لا يصل إلى أي شيء!

يلتفت موسى حوله محاولًا البحث عن المزيد من الحجارة، ثم ينحني بجوار كشك الأمن الخشبي متناولًا حجرًا آخر، ليلمح صندوقًا معدنيًا يقع خلفه، يقترب موسى من الصندوق

لتتصاعد منه صوت نباح شرس لا ينقطع، ويتصاعد معه أصوات أخرى لكلاب لا يعرف هل تأتي من البوابات الأخرى أم من العراء حولهما.

يلتفتا حولهما بهلع شاعرين أن تلك المخلوقات النابحة سوف تهجم عليهما في أي لحظة، لكن بدلًا من الكلاب سمع موسى صوت أجزاء سلاح آلي تُشَد، وشخص يقول بلهجة ريفية:

- «اثبت محلَّك».

استدار موسى ملتقطًا أنفاسه بارتياح وهو يقول لائمًا:

- «أين كُنت يا رجل؟!.. لقد كدت أنزل إعلانًا في صفحة المفقودين».

لم تلن ملامح رجل الأمن الجادة وهو يقول دون تفاهم:

- «ألق بسلاحك أرضًا، وارفع يديك عاليًا».

نظر موسى بدهشة نحو الحجر وهو يقول:

- «هذا ليس سلاحًا، إنه حجـ..».

سمع صوت أجزاء سلاح رجل الأمن تُشد مرة أخرى وهو يقول بغضبٍ عارمٍ:

- «ألق بسلاحك أرضًا وإلا أطلقت عليك النار بلا تردُّد».

لم يجد موسى بُدًا من التفاوض معه، ألقى بالحجر أرضًا، ورفع يديه عاليًا، أمره رجل الأمن أن يهبط أرضًا ويرقد على وجهه مع الحفاظ على يديه مرفوعتين في مكان يستطيع الأخير أن يراه بوضوح، وحين اطمأن رجل الأمن أنه قد أحكم سيطرته على الوضع، طلب الدعم عبر جهازه اللاسلكي، ووقف في انتظار زملائه.

مراقبًا زينب التي ظلت في مكانها ترتجف غير قادرة على فعل أي شيء، نظر فرد الأمن إليها بنظرة حائرة غير مستوعب ما الذي تفعله فتاة مع ذلك المقتحم بعد منتصف الليل.

يسألها: «هل أنت أخته؟».

يقاطعها موسى قبل أن تخبره بعكس ذلك قائلًا:

- «نعم، إنها أختي الصغيرة...».

- «اصمت والزم مكانك».

قالها فرد الأمن بغضب وهو يوجه سلاحه نحوه مرة أخرى للأضواء، سارينات سيارات الشُرطة الزرقاء والحمراء، ويسمع دوي إنذارها المُميّز وهو يقترِب.

حاولت أن تبتعد لولا أن زجرها بصرامةٍ:

- «لن تذهبي لأي مكان، ستأتي معنا للقسم من أجل أن تشهدي على ما حَدَث».

أومأت برأسها وهي ترتجِف، ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تُفكّر فيما ستفعل الآن، راجية ألا تتورط أكثر من ذلك، فأي فضيحة تلك التي ستنالها إذا ما اتصل القسم بمنزلها يخبرهم أنها حاولت اقتحام مركز تجاري مع شاب بعد منتصف الليل؟!

شعرت بتجمد الدم في عروقها رعبًا، يجب عليها التصرف قبل فوات الأوان.

-7-

في جلسته البائسة في ركن حمام قاعات العرض مرت عدة أفكار برأس رأفت، كان الأمل الأكبر وأنه أقرب للصباح منه لليل، فربما إن بقي هنا في مكانه متسلحًا بنصف ممسحة خشبية مكسورة؛ فسوف تمر تلك الليلة اللعينة، هذا إن تجاهل الأصوات التي يسمعها قادمة من خارج الحمام.

إنهم قادمون من أجله.. لا يستطيع أن ينكر ذلك، حتى إن فصلته ساعة عن الصباح وهو ما يشك فيه كثيرًا؛ فإن ذلك سيكون متأخرًا كثيرًا.

كان هناك مقال ما قرأه على الإنترنت، عن كون الهواتف المتأثرة بالماء يمكن إعادة إحيائها عن طريق وضعها داخل طبق من الأرز؛ لكن أين له أن يأتي بكيس من الأرز الآن!

احتاج الأمر للحظات ليستوعب أن يمكنه إيجاد الكثير من الأرز في سوق المركز التجاري؛ لكن ذلك أيضًا كان المكان الذي رأى فيه أول مانيكان.

يهمس لنفسه: «اللعنة».

ثم تتعالى الأصوات في الخارج فيفكر أن الأمر لم يعد مرتبطًا بمكان واحد، هم يطاردونه في كل أرجاء المركز، أي شيء سيكون أفضل من الجلوس هنا مكتوف اليدين.

يستند على الحافة الرخامية للأحواض، ثم يقف مستعدًا للركض مرة أخرى.

يضع الهاتف في جيبه، ويمسك بجزئي الممسحة الخشبية في كلتا يديه، وينطلق راكضًا مطلقًا أعتى صيحات الحرب، التي تحولت خلال لحظات إلى صراخ متصل، حين وجد عدة مانيكانات في انتظاره خارج الحمام بعضهم ملقى على الأرض، وبعضهم يقف مشيرًا له وواحد معلق برباط غليظ من قدميه يتأرجح أمامه مباشرة،

يلقي بكلتا أجزاء الممسحة في اتجاههم، ولا ينتظر ليرى إن كانت أصابت أحدهم.

لينطلق راكضًا دون أن يتوقف عن الصراخ المذعور،

يحتاج في النهاية إلى التوقف وهو يتدرج السلم ليستطيع أن يلتقط أنفاسه.

يتوقف في نهاية السلم وهو يعب الهواء عبًا، ماسحًا بعينيه ما حوله، متخليًا عن إستراتيجيته السابقة، وحين تأكد أن لا يوجد من يتبعه، بدأ في الركض وهو لا يزال يحاول أن يقرر إن كان يجب عليه أن يكمل صراخه، أو يركض في صمت.

لم يكن مريحًا أبدًا بالطبع أن يكن ركضه وسط فاترينات

تطل عليه منها عشرات المانيكانات، إلا أنه لم يكون هناك مانيكانات،

استوعب رأفت فجأة أن الواجهات كانت خالية من أي أثر للمانيكانات.

كان يشعر بنيران تلتهم عضلات أقدامه، وبقلبه يثب محاولًا الهرب من صدره؛ لكنه قاوم الألم دافعًا بنفسه للأمام،

لا يوجد سوى الأرض، وأقدامه واتجاه نحو هدفه.

خارجًا من الممر المؤدي مباشرة إلى السوق رآهم، وكانت تلك أول مرة يراهم يتحركون.

كانت حركتهم غير طبيعية على الإطلاق - بالطبع أي حركة لجماد ستكون غير طبيعية- كانت حركتهم أشبه بفيديو لم يتم تحميله كاملًا على الإنترنت، فحركتهم ينقصها شيء؛ وكأنهم يقفزوا بين مشاهد وهناك دائمًا مشهد ناقص بينهم كلهم يتحركوا باتجاه رأفت، بعضهم يمشي وآخر يزحف، وبينهم من يتدحرج نحوه، حيث يتكون من رأس وجذع بلا أقدام أو أذرع.

لا يجد حلًا سوى التقهقر، إنهم يغلقون عليه تمامًا اتجاه الدخول إلى السوق، وما بين خياري القتال أو الهرب يتخذ رأفت الثاني سبيلًا.

عائدًا خطوتين للوراء، مستعدًا للالتفاف؛ ليجد مانيكان طفل عند ركبته، ومانيكان امرأة يدفعه بقوة لا يمكن توقعها من تلك الأجسام الخشبية الهشة، يسقط متآوهًا على الأرضية الباردة؛ لكنه يدفع بجسده بعيدًا عن مانيكان الطفل الذي سقط بجانبه، ويحاول الوقوف مرة أخرى؛ لكن يشعر أن الأرض زلقة من تحته، دفعة أخرى تُبقيه أرضًا وتؤخر صراعه من أجل الوقوف.

يدفع بحسده زاحفًا باحثًا بيده عن أي شيء يساعده على الوقوف، ليجد أن يده على صدر واحد من المانيكانات المتدحرجة.

يرفع يده بسرعة كمن مس نارًا، ينقلب على ظهره ليرى خمسة مانيكانات قد وقفوا على بعد خطوات، يتعرف على واحد منهم ذي السترة والساطور.

يلتفت وراءه ليجد مجموعة أخرى تقترب؛ لكنه يعود بانتباهه إلى المانيكان الوحيد الذي يحمل سلاحًا، فهو في الأغلب من يمثل الخطر الأكبر.

يتمنى لو كان يمكنه الاستسلام، فذلك الحل الوحيد لموقف مزري مثل هذا وهو محاصر؛ لكن الاستسلام لماذا؟

ما الذي سيصنعونه به؟

وهل ستفهم تلك الأشياء مفهوم الاستسلام؟

رفع المانيكان ذو الساطور يده المفرودة بمحاذاة كتفه، وباليد الأخرى ذات الساطور نزل على رأس مانيكان آخر أمامه، ليقع المانيكان الثاني الذي انشقت رأسه أرضًا.

لينحني ذو السترة ثانيًا جسده للأمام ويوجه ضربة أخرى للملقى أرضًا ذو الرأس المقسومة فاصلًا الجذع عن القدم، ثم ينتصب ذو السترة واقفًا، ويُعيد رفع يسراه بمحاذاة كتفه.

كان رأفت قد تملكته رجفة لا تتوقف من كل هذا الجنون الذي يراه، كان متأكدًا أنه سيفقد الوعي في أي لحظة الآن، ربما سيكون ذلك رحمة من الله، ألا يحتاج إلى أن يحيا تلك اللحظات الأخيرة، فقط تمنى لو لم يكن عليه أن يرحل وحيدًا، وللحظة فكر إن كانوا سيجدوا بقاياه في يوم أم ستصير نهايته لغزًا لا يُحل.

أقسم في ذهنه أنه لو حدث ذلك أنه سيسكن شقة موسى كروح غاضبة ويُحيل حياته جحيمًا، ولا حتى روحية ستتمكن من إقناعه بالرحيل.

حينها رأها.. فرجة بين تلك الكائنات الخشبية المتجمعين من حوله، بالكاد تكفي لمرور شخص في نصف وزنه؛ لكنها من خلفها كان السوق الواسع، حيث يمكنه على الأقل التسلح

بأي شيء.

كانت تلك الفرجة على بعد سنتيمترات من ذي السترة؛ لكن إن أطال التفكير سيهزمه الخوف.

استند سريعًا على صدر المانيكان الملقى بجواره، ليساعده على الوقوف؛ لكنه لم يحتمل وزنه ليخترق كفه الصدر المجوف منحشرًا بداخله؛ لكن مع دفقة الأدرينالين المتزايدة في جسده لم يتوقف رأفت للحظة؛ أكمل نهوضه وبيده المحشورة في الصدر الخشبي المجوف وجه لطمة لاثنين من المانيكانات أمامه، ألقتهما أرضًا، لتتسع الفرجة وانطلق باتجاهها واضعًا الصدر الخشبي كدرع يحميه من أي ضربة ساطور قد تأتي من ذي السترة.

ما إن خرج من تلك الدائرة حتى حرر يده من التجويف، وألقى به أرضًا منطلقًا في اتجاه السوق.

قفز من فوق السلسلة الحديدية أمام مدخل السوق، وانطلق بين الممرات غير مصدقًا أنه لا يزال حيًا، ولو لبضع دقائق أخرى حتى يلحقوا به داخل السوق.

يرى قسم أدوات المطبخ فينطلق في اتجاهه، يسحب أول سكين يجده على الرفوف نازعًا عبوته البلاستيكية، ثم يُبدله بسكين أكبر بعدها بلحظات في نهاية الصف، ينزع غلافه

ويلقي بالسكين الأخرى.

ينظر من حوله متأكدًا من عدم وجود أي مانيكانات أخرى، ثم يتجه إلى الأرز والبقوليات ليحاول إصلاح هاتفه، ولا ينسى أن يتناول إناءً كبيرًا لاستخدامه في محاولة إصلاح الهاتف.

حين يصل إلى الأرز يقف محتارًا لعدة ثوانٍ غير واثق إن كان يجب عليه استخدام نوع محدد من الأرز أم أن أي نوع سيفي بالغرض.

يجذب عبوة عشوائية من الأرز حين يسمع صوتًا يأتي من خلف الرف، ليتراجع بسرعة متخذاً وضعية دفاعية شاهرًا كلاً من الإناء والسكين، يتحرك خارجًا من الممر الضيق باحثًا عن مصدر الصوت الذي يبدو أن أحدهم يسحب شيئًا ثقيلًا.

كان آتيًا من خلف ثلاجات اللحوم التي يشع منها الآن أضواء زرقاء خافتة وتطلق أزيزًا ثابتًا، يتفقد الممرات من خلفه ثم يقترب بحذر اتجاه الصوت.

كان صادرًا من الغرفة الخلفية، وجد رأفت فتحة بين الثلاجات ليمر منها، واتجه للغرفة الخلفية مزيحًا ستارة بلاستيكية، ليجد نفسه في غرفة صغيرة لها بابٌ يشع من أطرافه بصيص من الضوء، بدأ في دفع الباب بهدوء، ليأتي

صوت سعال خافت يجعله يجفل فيدفع الباب دفعًا ليلاقيه ضوء ليس بالمبهر؛ لكن بعد قضاء ساعات في الظلام كان أقوى من أن تحتمله عيناه فجأة.

يغمض رأفت عينيه ويأتي صوت عجوز مرتجف: «من أنت؟ ولما تحمل سكينًا؟».

-8-

غرفة واسعة، يتوسطها مكتب مليئ بالملفات والأوراق الموضوع دون أي نظام يُذكَر، مقعد مُريح يجلس عليه ضابط شُرطة ما زال النوم لم يبارح عينيه بعد، يتأمَّل موسى بصمت قبل أن ينظُر لرجل الأمن ويقول:

- «حسنًا.. فهمت الأمر، تستطيع أنت العودة لمحل خدمتك».

أشار له رجل الأمن بالتحية العسكرية وهو يشد جسده ويضرب كعبه بالأرض، قبل أن يدور على عقبيه ويغادِر الغُرفة، ضغط الضابط زرًا في مكتبه، وبعد لحظات دخل جندي أسمر وهو يكرّر التحية العسكرية، أمره الضابِط دون أن يُوليه أي اهتمام يُذكَر:

- «قهوة يا عبد الدايم».

هزّ عبد الدايم رأسه وهمّ بالانصراف لولا أن أضاف الضابط في صرامة:

- «من البُن الخاص بي يا عبد الدايم.. هل تفهم؟».

هزّ عبد الدايم رأسه وهو يُغادِر الغُرفة، نظر الضابط بغتة لموسى الذي يقف أمامه والأصفاد تُقيّد معصميه قبل أن

يقول في فضول:

- «والآن.. ما قصتك يا سيد موسى؟».

بدأ موسى بشرح الأمر منذ البداية بعصبية شابها الكثير من الارتباك، وكمية لا بأس منها من مصطلحات مثل (حضرتك)، (سيادتك)، و(معاليك) الكافية ليشعر الضابط أن موسى يحترمه ويقدّره، وهذه طريقة ناجِحة - نوعًا ما- في التعامُل مع رجال الأمن، أنهى موسى حكايته وصمت، كان الضابط لا يزال ينظر له دون أن ينبس ببنت شفة، لم يقاطعه طوال حديثه، لدرجة أن موسى ظن أنه فقد اهتمامه به عدة مرات.

سمعا صوت طرقات على الباب، أمر الضابط الطارِق بالدخول، دخل عبد الدايم وهو يحمل صينية معدنية عليها فنجان قهوة وكوب ماء بارد، وضعهما على المكتب باهتمام وطفق منتظرًا حتى تناول الضابط رشفة من الفنجان، وعلى ما يبدو أن البن أعجبه لأنه أشار لعبد الدايم بالانصراف دون أن يبدي أي تعليقات سلبية على الأمر،

تجرَّع كوب الماء قبل أن يتناول منديلاً ويمسح شاربه من بضع قطرات علقت به وهو يقول:

- «انتظر.. أريد أن نبدأ من البداية، حسن سألتك عن اسمك قُلت موسى أبو المكارِم، وهو الاسم الذي لا يتطابَق مع

اسمك ها هنا في بطاقتك الشخصية الموجودة أمامي».

تلعثم موسى قليلًا وهو يحاول توضيح الأمر:

- «أبو المكارِم لقبي وليس اسمي الرسمي؛ لكن لهذا الاسم سببًا مُعيَّنًا».

قال الضابط بفضول مليئ بالسخرية:

- «هل أنت مُهتَم بشرحه؟».

ابتلع موسى ريقه بصعوبة، فكَّر أن يقص عليه أي كذبة عن الأمر؛ لكنه كان موقنًا في قرارة نفسه أن رجال الأمن جميعًا مزودون بحاسة سادسة تجعلهم يستطيعون كشف الكذب بمُنتهى السهولة، وأي كذبة في الوقت الحالي ستكون كافية ليسوء موقفه أمام الضابط، قرَّر أن يُخبره الحقيقة.

- «يسمونني أبو المكارِم لأنني.. لأنني من ذوي المكارِم».

قال الضابِط مُتهكمًا:

- «إذن أنت أحد أقرباء الرجل الذي فسَّر الماء بعد جهد بالماء؟».

ابتلع موسى الإهانة وهو يقول مُرتبًا أفكاره: «أقصد أنني من ذوي الكرامات، أرى أحيانًا بعد الرؤي القادمة من المُستقبل أو من مكان آخر؛ لكنني لا أعرف سبب تلك الرؤي،

كما أنني لا أعرف لها تفسيرًا أو معنى».

ارتسمت ابتسامة سخرية على شفتي الضابط وهو يقول:

- «أولًا تخبرني أن صديقك حبيس المركز التجاري وتطارده مجموعة من دمى العرض، والآن تخبرني أنك ساحر وترى رؤى من المُستقبل، ما الذي ستخبرني به لاحقًا؟ أنك مسؤول عن فتح بوابة من بوابات الجحيم؟».

أنهى الضابط جملته وهو يضحك بسُخرية، لم يكُن يعرف مدى اقتراب ما قال من الحقيقة، قال موسى مُندفعًا:

- «في حقيقة الأمر..».

لم يُمهله الضابط الوقت الكافي ليُنهي حديثه، ضرب سطح المكتب بكفه في غضب وهو يقول:

- «هل أخبروك أننا نملك الوقت الكافي للاستماع إلى هرائك؟ هل تريدني أن أوصي بأن تقضي بقية حياتك في مُستشفى الأمراض النفسية والعصبية؟ أقسم لك يا موسى أنك إن لم تُخبرني بالحقيقة.. والحقيقة وحدها.. فسيكون رد فعلي مُختلفًا.. وصدقني.. لم تسعد بهذا الأمر».

وقف وهو يقترب منه قائلًا في صرامة:

- «لن تسعد بهذا أبدًا».

جلس وهو يخرج علبة سجائره، سحب لفافة من التبغ ووضعها بين شفتيه وهو يشعل طرفها، سحب نفسًا عميقًا، قبل أن يقول وكلماته تخرج من بين شفتيه مُمتزجة بالدُخَّان:

- «والآن.. انسى هذا الهراء وأخبرني بالحقيقة».

ابتلع موسى ريقه بصعوبة بالغة.. كان في ورطة لم يعرف كيف يخرج منها!

لم ينقذه من بين براثن هذا الضابط إلا بضع طرقات على الباب، تبعها ظهور وجه مألوف يدخل الغُرفة!

وعلى الرغم من مدى كرهه لصاحِب هذا الوجه.. فإنه تنهّد بارتياح حين رآه!

-9-

لم تملك زينب من أمرها سوى طلب المُساعدة من شخص لا تطيق سماع صوته أو حتى نطق اسمه؛ لكنه كان الآن ملاذها الوحيد ومُنقذها، اتصلت به منذ قليل وأخبرها أن الضابط النوبتجي الموجود في القسم الآن هو أحد أعز أصدقائه، ناهيك عن أن المأمور يعرفه معرفة شخصية وتجمعهما علاقة صداقة وطيدة.

كانت تشك في صدق هذه الأمور؛ لكنها لم تملك أن تفعل أي شيء آخر، وقفت تنتظر حسنين والخوف ينهش قلبها المسكين، كان الجندي الخاص بحراسة غرفة مكتب الضابط طيبًا بما يكفي ليسمح لها بالجلوس على مقعده قليلًا، لم يتوقّف جسدها عن الارتعاد منذ وصولها إلى هنا، تجاهلت بعض المُكالمات الصادرة من والدتها القَلِقة؛ لكنها طمأنتها ببضع رسائل نصية مفادها أنها بخير؛ لكنها لا تستطيع الرد على مكالماتها في الوقت الراهن، حاولت الاتصال برأفت أكثر من مرة؛ لكن هاتفه دائمًا مُغلق أو غير مُتاح.

سمعت صوت خطوات أقدام ثقيلة تقترِب، شمَّت رائحة عطره الثقيل، يعشق تركيب العطور ذات الروائح الزيتية النفاذّة بدلًا من شرائها جاهزة، لا تدري سببًا لهذا خصوصًا أنه ميسور الحال، اقترب منها مُبتسمًا.

للمرة الأولى تجد في ابتسامته منقذًا لها من مأزق ورَّطت نفسها به، اقترب وصافَح الجندي وهو يطلب مقابلة الضابط النوبتجي بخصوص الشخص الموجود بالداخِل، أخبره الجندي أنه لا يملك إدخاله؛ لكن عليه أن يستأذن أولًا؛ لكن بالطبع لزاجة حسنين وثقله جعلاه يدخُل الغُرفة مع الجندي.

لاحظ نظرة الارتياح التي عَلَت وجه موسى حين رآه فابتسم وقد زادت ثقته في نفسه، أمر الضابط عبد الدايم بالانصراف وهو ينظر نحو حسنين مُتسائلًا.

أخرج حسنين بطاقة تعريفه من جيبه وهو يقترب من الضابط قائلًا:

- «أنا زميل لحضرتك يا فندم».

تأمّل الضابط البطاقة بسُخرية وهو يقول:

- «أنت موظّف أرشيف يا حسنين كما يبدو».

اقترب منه حسنين وكأنما هو على وشك إخباره بسرٍ خطيرٍ وهو يقول:

- «موظف أرشيف تابع لوزارة الداخلية يا فندم».

ألقى له ببطاقته وهو يقول:

- «والمطلوب؟».

قال حسنين حرجًا وهو ينظر نحو موسى بطرف عينه:

- «هل نستطيع أن نتحدّث على انفراد يا سعادة الباشا».

ظهر الامتعاض على وجه الضابط وقد أدرك أنه لن يتخلَّص من هذا الشخص بسهولة، قابل من هم على شاكلته ويعرف جيدًا أن أسهل طريقة للتخلُّص منهم هو تنفيذ كل طلباتهم مهما كانت مُزعِجة.

ضغط زر استدعاء عبد الدايم في مكتبه وانتظر دخوله ليقول آمرًا:

- «دع موسى ينتظرني بالخارج قليلًا».

أمسك عبد الدايم بذراع موسى ليقوده إلى الخارج قبل أن يقول:

- «والفتاة الموجودة بالخارِج؟».

ظهرت علامات الدهشة على وجه الضابط وهو يسأله:

- «أي فتاة؟».

قال عبد الدايم موضحًا:

- «حضرت مع المُتهم، وقال رجل الأمن الذي اقتادهما إلى

هنا أنها شاهدة على ما حدث».

قال الضابط بعدم اهتمام:

- «دعها ترحل طالما صوّرت الكاميرات كُل شيء، لا داعي لوجودها هنا».

هزّ رأسه وهو يقود موسى للخارج، استقبلته زينب بلهفة مُتسائلة:

- «هل سمح لك بالخروج؟».

هزّ موسى رأسه وهو يقول:

- «لا، أراد حسنين أن يحدثه على انفراد».

نكّست رأسها أرضًا وهي تقول:

- «أنا آسفة، شعرت بالعجز ولم أعرف ماذا أفعل سوى الاتصال به».

ابتسم بحزن وهو يقول:

- «لا بأس».

سمعوا جميعًا صوت الجرس الخاص باستدعاء عبد الدايم الذي دلف للغرفة وترك بابها مواربًا، سمعوا صوت حسنين وهو يقول باستجداء:

- «أقسم لك أنه لم يفعل شيئًا يا باشا، أرجوك.. أتوسل إليك أن تتركه يرحل بعد أن يتكفّل بدفع كل مصاريف إصلاح الأشياء التالفة».

أمر الضابط عبد الدايم بالذهاب لإحضار فنجان آخر من القهوة، فخرج ملبيًا طلبه وأغلق الباب خلفه.

تبادل موسى وزينب النظرات، هل أتى حسنين إلى هنا من أجل الكثير من الاستجداء والكثير من التوسُّل؟

قبل أن يتحدثا، رن هاتفها المحمول، أخرجته بتأفُّف وهي تتوقَّع أن ترى اسم والدتها يزيّن شاشته؛ لكنها وجدت شخصًا آخر هو المُتصِل، شخصًا نسوه تمامًا في خضم كُل تلك الأحداث التي حدثت في تلك الليلة الطويلة!

(روحية الشوّاف تتصل بكِ..)

قال موسى بلهفة:

- «أجيبيها.. ربما كان لديها ما ينفعنا في هذه المشاكل التي تحاصرنا من جميع الاتجاهات».

أجابت على الهاتف، قبل أن تنبس ببنت شفة جاءها صوت روحية وهي تقول:

- «رأيت رؤية مهمة.. أعتقد أنها ستفيدكم في هذا المأزق».

أنهت روحية المُكالمة دون أن تضيف أي شيء آخر، نظرت زينب إلى موسى وهي تسأله بقلقٍ:

- «كيف عرفت أننا في مأزق؟».

أجاب موسى سؤالها بسؤالٍ آخرٍ وهو يقول:

- «ما تفاصيل تلك الرؤية؟ اذهبِ واعرفي كل التفاصيل، وسأتصل بكِ حين ينتهي الأمر».

تردّدت قليلًا؛ لكن سُرعان ما حسمت أمرها وهي تستأذن عبد الدايم الذي حضر بالقهوة أن ترحل، رفع كتفيه بلا مُبالاة، فأسرعت الخطى لتختفي عند نهاية الممر، تاركة موسى في حيرة من أمره.

هل هذه النهاية؟ هل ورطوا أنفسهم في أمر يفوق قدراتهم؟

-10-

طرقت الباب وانتظرت قليلًا، سمعت صوت خطوات روحية تأتيها من داخل الشقة، تتحرَّك ببطءٍ، وخلال لحظات فتحت روحية الباب وهي تقول بهدوء:

- «إدخلي يا بنيتي».

تلعثمت زينب وهي تسألها:

- «كيف عرفتي أنني الطارِقة؟».

ابتسمت روحية وهي تُحكِم لف الشال فوق رأسها:

- «لا أنتظر مخلوقًا في مثل هذا الموعد سواكِ».

صمتت قليلًا وهي تبحث بيدها عن (السبرتاية) النحاسية لتشعل فتيلها وتضع فوقه برادًا معدنيًا منبعجًا قليلًا، قبل أن تضيف:

- «كما أنني طلبت منكِ الحضور».

شعرت زينب بالغباء قليلًا لكنها تجاوزت الأمر وهي تقول:

- «أخبرتني عبر أثير الهاتف أنك رأيت رؤية جديدة».

ابتسمت روحية وهي تُلقّم أكواب الشاي، كانت تتصرّف بثقة وكأنها ترى كُل شيء، قالت:

- «رأيت رؤية غريبة للغاية.. لكنني عرفت فورًا أنها خاصة بكم».

سألتها زينب بنفاد صبر:

- «هل لكِ أن تخبرينني؟».

بدأت بصب أكواب الشاي وهي تقول:

- «الصبر يا بنيتي، عليك أن تتحلي بالصبر قليلًا».

كادت تجادلها لكنها أيقنت أن روحية لن تخبرها بأي شيء سوى حينما تريد.

جلستا تشربان الشاي في صمتٍ، كانت زينب تتحرَّق شوقًا لمعرفة تفاصيل الرؤية كي ترحل وتحاول مساعدة صديقيها.

بعد دقائق من الصمت الثقيل، وضعت روحية كوبها الفارغ على المنضدة وهي تعتدل لتواجه زينب، وبدأت في قص تفاصيل رؤياها الغريبة.

***

جزار مصمت الملامح يقف أمام منضدة خشبية - التي يستخدمها الجزّارين في تقطيع اللحوم- يُمسِك بساطوره الملوَّث بالدماء، مُنهمِك في تقطيع جسد مُسجى أمامه

ويكاد لا يتبيّن تفاصيله بسبب الظلام، بجواره منضدة أخرى معدنية تشبه تلك التي تستخدم في المُستشفيات، يعلوها غطاء أبيض يُخفي تحته بعض الأشياء التي لا تظهر؛ لكنها وبكُل تأكيد ملوّثة بالدماء، نستطيع التيقُّن من هذا بسبب بقع الدماء الحمراء القانية التي لوّثت الغطاء.

يرفع ساطوره عاليًا وهو يهوي به على اللحم الموجود أمامه، يهشّم عظامه ويشفّيها من اللحم سريعًا بمهارة غلب عليها طابِع التعوُّد قبل أن يُلقي بكُل ما أمامه في دلوين كبيرين، اللحم في أحدهما والعظام في الآخر.

يتحرّك ليسحب إحدى الموجودات تحت الغطاء، تظهر جُثة لبشري، يحملها فوق كتفه متجاهلًا حقيقة أنه يحمل جُثة شخص بشري، يسجيه على (القُرمة) الموجودة أمامه، بضربتين قويتين هائلتين نجح في فصل رأسه عن جسده، أمسك بالرأس من شعرها ووضعها جواره، بدأ في تقطيع الجسد لقطع صغيرة.

فتح الرأس عينيه وبدأ في الصراخ بصوتٍ عالٍ

امتعض الجزّار لكنه لم يولِ الأمر انتباهًا، بعد قليل من الوقت كان قد انتهى من الجسد ففصل عظامه عن لحمه وانتقل لجسدٍ آخر، فعل فيه مثلما فعل في الأول، وضع الرأس بجوار مثيلتها، ففتحت عينيها وانضمّت لسابقتها في

الصراخ

استكمل عمله، وبمرور الوقت زادت الرؤوس التي تحوّلت لفرقة غنائية صغيرة تكرّر تتنوع صراختها بين حاد ومحشرج

يرتفع الصوت، ويظهر الانزعاج على الجزار الذي بدأت يديه في الارتعاد بسبب الضيق، كاد يخطئ أكثر من مرة، كاد يقطع إصبعه في مرة أخرى، غضب.. ثار.. صرخ في الرؤوس: «توقفوا».

لكنهم استمروا في الصراخ،

يرفع الغطاء عن وجه آخر جُثة ليظهر وجه رأفت، الذي فتح عينيه فجأة وأخذ يغني ينادي بهلع على موسى وزينب، لم يتحمَّل الجزار، سقط الساطور من يده، بدأ بالصراخ: «كفى.. كفى».

وضع يديه على أذنيه في محاولة لمنع الصوت من انتهاكهما؛ لكن صوت رأفت كان عاليًا ومزعجًا بما يكفي.

***

كانت تلك هي أغرب رؤية رأتها روحية في حياتها، وأغرب شيء سمعته زينب في حياتها.

أفاقت من دهشتها على صوت هاتفها يرن، طالعت شاشته لترى أن موسى هو المُتصِل، أجابته في لهفة وهي تسأله:

- «أين أنت؟ هل أنت بخير؟ هل خرجت؟ هل تركوك ترحل؟».

- بانزعاج واضح يرد:

- «رويدك يا فتاة، أنا بخير، توسّل حسنين للضابط حتى سمح لي بالرحيل بعد التعهد بالتكفّل بكامل مصاريف الإصلاح، وأنا الآن مُتجه للمركز التجاري من أجل إخراج رأفت».

قالت في راحة:

- «حمدًا لله».

سألها بفضول:

- «ما تفاصيل الرؤية؟».

سردت عليه كل ما قصته عليها روحية من تفاصيل لرؤية قاتل مصمت الملامح يقطع أجساد مختلفة ثم رأس رأفت الذي يستغيث بها وبه، ثم وضحت له أن روحية متأكدة أن ذلك المانيكان القاتل أحد من هربوا من بوابات الجحيم.

توقّعت أن يشعر بالدهشة أو أن يسأل عن مزيد من

التفاصيل؛ لكنه سمعها في صمت قبل أن يقول:

- «لديّ مكالمة قيد الانتظار، يجب أن أغلق».

وانهى المُكالمة قبل أن تُعلّق أو تُعقّب.

كان هذا غريبًا..

لكن ما هو قادم سيكون أغرب!

-11-

جلس رأفت أمام المنضدة تُستخدم في تقطيع اللحم، أمامه إناء ممتلئ بحبوب الأرز يغطي هاتفه المحمول، وفي يده علبة عصير، لا يرفع نظره من على الإناء وكأنما ينتظر أن يعطيه الإناء إشارة أن هاتفه جاهز للاستخدام.

يأتي من خلفه صوت العجوز الهامس: «تحتاج أن تدفع ثمن هذا العصير، والأرز والإناء، وبالطبع السكين الذي كدت أن تصيبني بنوبة قلبية به».

يسحب رأفت آخر قطرات العصير وهو يومئ برأسه، ثم يقول: «إذا كنت سأدفع ثمنهم على أي حال، هل يمكنني الحصول على علبة أخرى؟

نظر له العجوز في حنق قائلًا: «لا... ستصل الشرطة في أي لحظة، يمكنك أن تطلب منهم ما تشاء من عصائر».

هز رأفت كتفيه في استسلام، وألقى بعلبة العصير في سلة مليئة ببقايا دهون وعظام مواشي تحت المنضدة.

- «أأخبروك إن كانوا قادمين الآن أم سيتأخروا؟».

بالضجر نفسه أجاب العجوز وهو منهمك في فرش ذبيحة على منضدة تقطيع: «لا لم يخبروني».

أومأ رأفت مرة أخرى برأسه قبل أن يلتفت للعجوز ويسأله: «ما الذي أخبرتهم به بالضبط؟ هل أخبرتهم عن المانيكانات القاتلة؟».

تنهد العجوز وهو يقول: «أخبرتهم أن هناك شابًا أفرط في تعاطي المخدرات وفقد الوعي داخل المركز التجاري، وجدته يهلوس بعد ساعات العمل وهو يلوح بسكين وإناء».

فكر رأفت أنه سيكون لديه الكثير لتفسيره حين يتم اصطحابه إلى القسم.

يجب أن يجهز دفاعه من الآن ليقرر إن كان يفضل أن يُسجن أم يصارحهم بما حدث حقًا - من وجهة نظره على الأقل- ليصحبوه إلى مستشفى الأمراض النفسية.

- «هل أنت متأكد أنه لا يمكنني استخدام الهاتف للحظات لأتصل بأصدقائي؟».

- «لا، يمكنك فعل ذلك أيضًا في قسم الشرطة».

يهمس رأفت: «نعم، سأدخل القسم بالكثير من الطلبات».

يولي رأفت وجهه ناحية ساعة الحائط، ليرى أنها تُشير إلى بعد الخامسة فجرًا بدقائق.

كان الجزار العجوز قد أخبره بالفعل أن أول الموظفين

يحضرون في الثامنة صباحًا.

تمنى رأفت أن يأتي أي شيء بسرعة؛ سواء كان الشرطة، أو الموظفون، فهو لا يزال رافضًا تمامًا تصديق أن كل ما مر به مجرد هلاوس على رغم ما أكده له العجوز.

ينتفض رأفت من صوت ساطور الجزار الذي يهوى على الذبيحة، يلاحظ الجزار انتفاضته لينظر له بخليط من الحسرة والاستهزاء.

- هل تفضل الانتظار في الخارج لو كان تقطيع اللحم والدماء تخيفك؟

على الفور يرد رأفت:

- «لا...لا سأنتظر معك».

لم يكن رأفت ليعود للجنون الذي ينتظره في الخارج، ليس بعد أن وجد نقطة آمنة، حتى لو اضطر لتحمل تلك الرائحة الكريهة، فقط يجب أن يجبر عينيه أن تتخلعا من على الساعة، فالوقت يأبى أن يمر حين يشعر أنه مراقب.

تنهيدة طويلة من رأفت تتبعها ضربة ساطور أخرى.

تتطاير بعض العظام ناحية رأفت، ينظر إلى الجزار في عتاب، الذي يتوقف للحظة عن التقطيع ويشير له لغرفة

أخرى وهو يقول: «يمكنك أن تستخدم واحدًا من بلطوات العاملين كيلا تتلوث ملابسك.

يقوم رأفت متجهًا للداخل وهو يقول: «أريدك أن تفهم أنني لست الفتى المائع الذي تظنه، ولست مستهلكًا للمخدرات، لقد رأيت في سنواتي أكثر مما رأيته أنت في عمرك كله».

يدخل رأفت الغرفة الصغيرة التي تحتوي على ملابس وأدوات العاملين على أثر ضحكة ساخرة كالفحيح يطلقها العجوز، ثم يأتي صوته قائلًا: «ما الذي يمكن أن تكون رأيت؟».

لا يجيب رأفت، الذي يقع بصره على هاتف أرضي.

يتناوله في سرعة وتجري أصابعه برقم منزل موسى.

بعد رنتين يأتي صوت سيدة:

- «آلو.. موسى؟».

يتعرف رأفت على صوت والدة موسى عن فوره.

- «لا يا أمي هذا رأفت».

يقولها هامسًا ويتبعها:

- «هل يمكنك أن تمليني رقم هاتفه المحمول؟».

يأتي صوت أم موسى متعجبًا:

- «لقد أخبرني أنه قد نزل للقائك.. كيف لا تملك رقمه؟».

يجيء صوت الجزار من الخارج:

- «أوجدت شيئًا مناسبًا أم لم تجد قياسك؟».

يرفع رأفت صوته قائلًا:

- «أحاول أن أجد أقلهم اتساخًا».

تتكرر ضحكات العجوز الخافتة من جديد، وتتوالى ضربات الساطور.

يعود لأم موسى هامسًا:

- «إن هاتفي غير مشحون وهناك أمر طارئ يجب أن أخبره به، أرجوك أعطني رقمه».

أملته أم موسى الرقم وهو يفكر أن يخبرها في حالة عدم تمكنه من الوصول لموسى أن يبحث عنه في القسم؛ لكن شعر أن ذلك سيؤثر سلبًا على علاقته بصديقه.

شكرها سريعًا وأنهى المكالمة.

كانت ضحكات العجوز الأشبه بالثعابين قد انتهت أخيرًا.

ضرب بإصبعه الأرقام قبل أن تتطاير من رأسه، ثم قال

بصوتٍ عالٍ محاولًا شغل العجوز كيلا يشك في تأخره ويتذكر وجود هاتف بالداخل: «يبدو أنك تستمتع بعملك جدًا هنا، فلا يبدو أن الروائح والقاذورات تضايقك كثيرًا».

- «لا».

يأتي صوت العجوز في اللحظة نفسها التي يبدأ الهاتف فيها بالرنين.

- لا، لا يضايقني الكثير، ربما تضايقني الحرارة قليلًا، في الماضي لم يكن هناك تلك التكييفات، وكنت أكره الحرارة حقًا.

يأتي صوت موسى: «آلو؟».

هامسًا يقول رأفت:

- «موسى، أين أنت؟ أنا عالق...».

يقاطعه موسى:

- «رأفت.. أخيرًا.. نحن نعرف أين أنت، وأنا أحاول الدخول إلى المركز.. زينب في الطريق بتعويذة أحضرتها روحية».

يهمس رأفت متنفسًا الصعداء:

- «حمدًا لله، تلك المانيكانات يجب أن نضع لها حدًا، فمثل

خطورة سفاحين أبواب الجحيم».

كان العجوز لا يزال مستمرًا:

- «لا لا أطيق الحرارة فعلًا، فكما تعرف الحرارة تفسد اللحم وتضجر الروح».

جاء صوت موسى قائلًا:

- «أنا لا أفهم أمر تلك المانيكانات يا رأفت أين أنت الآن؟ هل استطعت الهرب من السفاح؟».

في عصبية هامسة يقول رأفت:

- «الأمر ليس به سفاحين، هناك مانيكانات تتحرك في أنحاء المركز التجاري، وأحدهم يحمل ساطورًا يحاولون قتلى».

ما زال صوت العجوز مستمرًا:

- «أحتاج إلى البرودة حقًا، اشتقت إلى تلك النسمات الباردة التي تحملها شياطين الصقيع القادمة من المكيفات والمبردات».

موسى: «نعم، في الأغلب هو حامل ذلك الساطور، قد كان سفاحًا يعمل في مجزر السوق التجاري منذ عشر سنوات، ربما تلبس واحد من تلك المانيكانات.. وصار يطاردك».

يأتي صوت العجوز مرة أخرى:

- «لا نحصل على الماء البارد، تلك النسمات لم أتنفسها حتى فتحتم أنتم البوابة».

فجأة يشعر رأفت أن صوت العجوز كان قد اقترب كثيرًا، يلتفت خلفه ليجده واقفًا بساطوره الغارق في الدماء وهو يقول بصوته الهادئ:

- «وتكريمًا لك، سأضع لحمك في قسم اللحوم المستوردة».

-12-

بعد أن احتملت الكثير من الفخر وتمجيد الذات من حسنين وكيف أنه أنقذ الموقف بعلاقته المتينة مع مأمور القسم تمالكت زينب أعصابها وأخفت الكثير من توترها وهي تهادن حسنين وتوجه له الكثير من عبارات الاطراء على حصافته والشكر قبل أن تتحسس طريقها في المحادثة لتسأله عن إن كان يذكر سفاحا قرأ عنه في الأرشيف تجتذبه المراكز التجارية ويقتل ضحاياه بالساطور.

لم يحتج حسنين حتى للانتظار لمراجعة لأرشيف ليخبرها في سرعة عن ملف سفاح كان نشطة في نهاية العقد الأول من الألفينات الجزار سيد الهامس رغم أنه جزارا الا ان صوته دائما كان منخفضا بشهادة من عرفوه يبدوا أن الصوت العالي كان أكبر الخطايا التي يمكن أن يقترفها شخص في منزل أهل سيد حين كان صغيرا.

اعتاد أن يصاحب أباه في طفولته في عمله في الجزارة.

لم يكن أبوه يملك ملحمة؛ لكن يدور في الأعياد رافعًا عقيرته، وسيد في ذيله كي يذبح ويشفي الأضاحي.

في غير المواسم كان يعمل أبو سيد باليومية في المذابح، وكان سيد الأصغر على بنتين وحين توفي والده تبعته

الكبرى وتزوجت الوسطى، وسافرت إلى الخليج، وصار سيد وحيدًا يتنقل بين جدارات المذبح إلى جزارة في فيصل، ثم جاء عام ٢٠٠٥ حيث افتتح ذلك المركز التجاري المبهر، حيث أخبره واحد من زملائه أن هناك سوقًا داخل ذلك المركز المبهر يبحث عن جزارين ليعملوا به، وأن يجب عليه تحضير شيء يدعونه «سيرة ذاتية»، ويشيرون إليه بحرفين إنجليزيين لم يستطع أبدًا تذكرهما.

لكن حين ذهب إلى السايبر المجاور للملحمة التي يعمل بها في فيصل استطاع الفتى الذي يعمل هناك أن يصنع له تلك السيرة الذاتية على ورقة مطبوعة طباعة فاخرة، ووضعها له في ملف بلاستيكي قبل أن يذهب إلى التقدم إلى الوظيفة التي قُبِل فيها على الفور.

ليس بفضل السيرة الذاتية التي كلفته خمسة جنيهات؛ لكن لانبهار المشرف في السوق من سرعته في التشفيه.

أسابيعه الأولى في العمل مرت كالحُلم.. نوع لم يعهده أبدًا من الزبائن وإن كانوا كثيري الأسئلة، إلا أنهم كانوا مفرطي الكرم في البقشيش، خاصةً لسيد، فهو مهذب وسريع، ويحفظ وجوه الزبائن وطلباتهم، كما أنه هادئ وهامس الصوت.

لم يكن ذلك يسر سوى مشرفه، أما زملاؤه فقد ساءهم أن

الزبائن تأتي لاسم سيد، وينتظرونه إن كان في راحة.

رأى سيد السخط في عيونهم؛ لكنه لم يرَ إلى أي مدى سيأخذهم ذلك السخط، حتى أتى اليوم الذي واجهه فيه أقدمهم في نهاية الوردية المسائية.

هدده بأن يتوجب عليه الرحيل بسلام لأنه اتفق مع زملائه أنهم سيتهمونه بالسرقة وسيشهدون ضده جميعهم أن لا يترك العمل في تلك الجزارة، والتحجج بأي ظرف للإدارة، وإلا فسيحرصون على أن يترك المكان بفضيحة مدوية تجعله غير صالح للعمل في أي مكان محترم آخر.

لم يدرِ سيد ما الذي دهاه، فجأة وجد نفسه واقفًا فوق جثة زميله، فقد أصيب بالهلع، فلم يكن يتخيل حياته مرة أخرى بعيدًا عن هذا المكان.

لم يفكر ويده تتحرك في آلية لتذبح الواقف أمامه وتتناثر الدماء في كل مكان.

كان جزارًا محترفًا، لم يقطع فقط الأورده، بل أنهى صلاحية الحبال الصوتية.. لا صراخ.. لا ضجيج.. غرغرة من وسط الدماء وموت سريع يستحقه ذلك الملعون.

ذلك كان كل ما يفكر فيه سيد.

لم يكن ليستطيع أن يخرج بأي شيء من المركز التجاري، لذا وجب عليه أن يتخلص من أي دليل في خلال الساعات التي تلتها قبل وصول الوردية الصباحية.

وانطلق في العمل...

احتاج لست ساعات لتقطيع كل أجزاء ضحيته، وتكسير العظام المميزة وإلحاقها ببقية مخلفات الذبائح،

ووضع اللحم في المبرد حتى يفكر كيف سيخرجه من المبرد في اليوم التالي.

حين أتت الوردية الصباحية خرج سيد من المركز دون أن ينتبه أحد أنه قضى الليلة داخله، ونام حتى موعدورديته كطفل رضيع لا يثقل ضميره أي شيء.

لص أراد أن يسرق حياته منه فنال ما يستحقه، ما الذي يمكن أن يشغله؟

في ميعاد وردية المساء عاد لعمله كأن شيئًا لم يكن، وتساءل مع المتسائلين عن سبب عدم قدوم زميله للعمل اليوم.

شيء واحد لم يكن واضعًا إياه في الحسبان، أن اللحم قد عُرض في الثلاجة وبيع عن آخره.

«بالهناء والشفاء إذن».

فكر سيد وهز كتفيه وأكمل ورديته، ولم يفكر في الأمر مرة أخرى حتى مرت عدة أيام.

حين جاء زبون من زبائنه الكِرام وسأله عن زميل آخر من وردية الصباح، استعجب سيد وسأله إن كان قد قام بأي شيء يضايق الزبون يجعله يريد أن يتعامل مع آخر، فأجابه الزبون ببساطة أنه منذ عدة أيام أخذ من زميله قطعية لحم لم يذق مثلها في حياته، ولم يستطع من يومها أحد أن يعطيه مثل تلك القطعية.

لم يكن لسيد أن يتقبل أن يظن أن هناك جزارًا في المكان أفضل منه، فتلك القطعيات التي يحلم بها الزبون هو من ذبحها وشفاها وقام بتقطيعها، وإذا أراد الزبون شيئًا فعلى سيد إحضاره.

فاستأذن الزبون أن يأتيه بعد ثلاثة أيام، وسيجهز له ثلاثة كيلوات من تلك القطعية الممتازة.

لم يكن الأمر بالصعوبة التي تخيلها سيد، فكل ما احتاجه هو نحو خمس كيلوات من اللحم الضأن، وزعت على مسؤولي الأمن في المركز التجاري لتجعله صديقهم المفضل، الذي يمكنه زيارتهم في غرفة المراقبة في أي وقت، حيث

يرى الأماكن المغطاة بالكاميرات، والأماكن التي بها كاميرات غير حقيقية موضوعة لإرهاب اللصوص وتوفير للنفقات، وهناك حصل على ضحيته الثانية.

شاب في أوائل العشرينيات وكالعادة أنهى التشفية والتقطيع قبل أن يأتي النهار، وجاءت الطوابير تأخذ القطعيات الممتازة التي أصبح يطلق عليها رسميًا قطعيات سيد.

حتى إن مشرفه قد رقاه مشرفًا على فريق صغير دون أن يأخذ منه واجبات التقطيع والتشفية أملًا في أن يتعلم من يعملون معه طريقة تقطيعه للحم.

بالطبع لم يتعلم أحد شيئًا، ولسوء حظ المشرف كان هو القطعية التالية، حيث بدأ يتساءل عن سبب وجود كميات زائدة من الذبائح، ووجود قطع لحم كبيرة غير مختومة بختم المذبح.

لم يطل تساؤله كثيرًا، وتأكد سيد أن يأتي ببعض الشغت المختوم ليغطي به قطعيات المشرف.

اكتشف سيد وقتها أنه يريد أن يعرف سبب تهافت الناس على ذلك النوع من اللحم، فبدأ في الاحتفاظ ببعض منه لنفسه، وتجربة طرق تسوية مختلفة ليستطيع كجزار

محترف أن يعطي توصيات التتبيل والتسوية عن تجربة، واكتشف أن قطعيات السيدات أكثر دسمًا وتصلح أكثر لمحمي الضأن، ولم تنتهِ قصة سيد إلا حين حاول إرضاء ضائقة محبي البتلو.

انتهت متأخرة للأسف بجثة طفلة تحت يده وخمسة أفراد أمن محاولين السيطرة عليه.

استطاعت إدارة المركز بسهولة ربطت عدة اختفاءات شوهد ضحاياها داخل المركز التجاري بجريمة سيدة؛ لكن لم يكن في صالحهم على الإطلاق أن يعرف أي شخص أنه وراء تلك الجرائم، وأن ضحاياها قد صاروا وجبة لعملاء المركز التجاري. فأغلقت التحقيقات بخصوص باقي الضحايا لعدم كفاية الأدلة لكن جريمته التي ضبط بها متلبسا كانت تكفي لإصدار حكم الإعدام الذي نفذ سريعاً .

ختم حسنين استرساله بقوله «كان ذلك منذ أثنى عشر عامًا حين أنتهى ذلك الكابوس»

تفكر زينب أن الكابوس أنتهى حتى جاء ثلاثة أصدقاء وفتحوا أبواب الجحيم وأطلقوه مع كوابيس آخرى.

-13-

مقيد اليدين، مكمم الفم بخرقة قذرة ملوثة بالدماء جلس رأفت أمام سيد وهو مستمر في تقطيع الذبيحة، توقف قليلًا وبدأ في السعال قبل أن يهز رأسه وهو يقول:

- «هل تعلم يا فتى أن تقدم السن لا يتوقف في الجحيم؟ تظل تشيخ للأبد دون موت ومع الكثير والكثير من العذاب، أمامي الكثير من العمل لتعويض زبائني، من الجيد أنك جئت إلى هنا اليوم، فكما ترى أن أفراد الأمن اليوم كانوا أشبه بالهياكل العظمية.

تنتقل عينا رأفت في فزع نحو الذبائح وينزل عليه الفهم أن ما كان يقطعه طوال هذا الوقت كانوا أفراد الأمن الخاصين بالمركز التجاري الذين لم يستطع العثور عليهم.

- «أما أنت فستخرج لحم ممتاز، فقط الأكيلة الحقيقيين والذواقة من يقدرون الدهون في اللحم».

ينزل هذا الإطراء على قلبه ومعدته كلطمة مفاجئة، بينما يستمر الجزار في الحديث.

- «أولئك الملاعين المحظوظين، ينعمون بأغلى أجمل أنواع اللحوم دون أن يدركوا».

يرفع سيد عينيه ناحية رأفت ثم يقول: «أريدك أن تهدئ أعصابك وأن تتخلى عن توترك، فإن الأدرينالين الزائد يفسد طعم اللحم.. انظر لتلك القطعة».

يقولها رافعًا مكعب لحم دامي: «كان ذلك فرد الأمن النائم في غرفة المراقبة، رحل في سلام، وبالتالي سيكون طعم ذلك اللحم رائق. يمكنني حتى إن آكله نيئًا».

ويتبع مقولته بالفعل قاضمًا قطعة من مكعب اللحم ليلوكه في نشوة،

تتصاعد الأحماض في معدة رأفت، والخوف قد اختلط بالاشمئزاز والرغبة في القيء.

يقرأ الجزار تلك التعابير على وجهه ليهز رأسه بخيبة رجاء أخرى ويعود للتقطيع.

أراد رأفت خلق مساحة بين يديه في محاولة منه لتوسيع حلقات الحبل الملتفة حول يديه؛ لكن كلما حاول فعل ذلك زادت الحلقات ضيقًا، وتمنى لو فقط كان باللياقة الكافية كي يثني ذراعيه ويخرجهما من تحته محررًا نفسه؛ لكن حتى وإن كان باللياقة الكافية فهنا وتحت عيني العجوز كانت لأي حركة مثل تلك أن تنتهي بنحر عنقه في اللحظة التالية.

يقول العجوز: «لن تستطيع التحرر من تلك الحبال،

سينتهي بك الأمر مقطوع الرسغين».

لم يكن يعني ما قاله العجوز أي شيء لرأفت، كان فقد كل الأمل في وصول أي شخص لنجدته، ولا سبيل لديه إلا أن يحاول أن ينقذ نفسه بنفسه.

بدأ رأفت في إرسال توسلات من خلف الخرقة، محاولًا صرف انتباه العجوز عن حركة يديه، بدأت عيناه تدمعان من الألم، حتى لمس رسغه بشكل سحري ماركة بنطاله الخلفية، وانبعث الأمل من جديد فيه وهو يستشعر القطعة المعدنية الدائرية مدببة الجوانب.

حرك رأفت يده في حركات محمومة صعودًا وهبوطًا وهو يشعر بالحبال الرفيعة وهي تنقطع ببطء من حول يده.

شاكرًا الله وشاكرًا للسراويل الجينز المستوردة.

كان قد ترك العنان لدموعه المنهمرة التي فسرها سيد أنه انهار تمامًا.

هدأت حركة رأفت ما إن تمكن من فك الحبال من حول يديه، فكر في التحرك نحو الباب الذي لا يفصله عنه الكثير؛ لكن مواجهته للعجوز الذي ينظر بتسلية وهيام لقطع اللحم أمام، نازلًا بساطوره على قطعة ما تنتمي لأحد رجال الأمن المغفور لهم جعلته يتردد في قراره بالتحرك الآن.

هو لا يدري مدى سرعة العجوز، أو مدى دقته في التصويب بسكاكينه، إذا حاول التحرك الآن وضربه العجوز بسكين مجهضًا محاولته للهرب ربما ليُعجل بذبحه، أو يقطع أربطه ساقة إن رق قلبه لحاله، مشجعًا روحه الرياضية التي حاولت جاهدة الهرب،

لم يكن أمامه خيار سوى الانتظار.. الانتظار حتى يرغب العجوز بعمل كوب من الشاي أو دخول الحمام أو إن كانت روحه الفانية غير قادرة على فعل ذلك، فربما يذهب لوضع اللحم بالثلاجة أو لنزع قطعة ما عن خطافها.

في وسط تركيزه مع سيد، بدأ رأفت في وضع خطة محكمة لما سيفعله فيما بعد، عليه أن يكون محددًا في جميع خطواته، فمن الغباء أن ينطلق راكضًا صارخًا في أرجاء المكان مرددًا أن هناك قاتلًا متسلسلًا يطارده، وإن راقت له تلك الفكرة كثيرًا في الوقت الحالي.

«أخرج من الباب، أرجو ألا تعيقني أي من المانيكانات المجنونة، أتجه نحو السلم، صعودًا نحو المدينة الترفيهية التي تدق مثل ليالي الموالد، ثم إلى الهاتف الأرضي من جديد.. ماذا كان رقم موبايل موسى؟.. اللعنة!».

فكر رأفت لاعنًا ذاكرته، واضطراره لمخابرة أم موسى من

جديد لتنهمر فوق رأسه المزيد من الأسئلة التي لن يملك وقتًا لشرحها.

هل يغامر بجذب إناء الأرز من أمامه فوق الطاولة يحاول تجربة هاتفه المحمول من جديد؟

«لا.. لن يعمل أي حال لا بد أن أتركه لليلة كاملة أو شيء من هذا القبيل».

التفت العجوز حوله يبحث عن شيء ما، ثم وقف بخطوات متثاقلة حاملًا صينية كبيرة من اللحم، وتحرك بها ليضعها فوق طاولة صغيرة إلى جوار رأس «رأفت» الجالس أرضًا.

أغمض رأفت عينيه متضرعًا ألا يرى العجوز يده المفكوك رباطها.

رمقه العجوز بنظرة استخفاف ساخرة وهو يقول: «يا للجبن! هل ستنتفض كلما تحركت؟.. لا تقلق سأريحك من هذا القلق قريبًا جدًا».

عاد العجوز إلى ما وراء طاولته، إلى جزء مظلم لم يتبينه رأفت، بدا كشيء معلق غير معلوم الملامح.

شعر رأفت أن تلك هي اللحظة المناسبة ليقف مندفعًا نحو الباب راكضًا منه وكأنه عدَّاء محترف، ليلتفت نحوه العجوز،

ويلمح بطرف عينه ما يحمله في يديه! فقد كان جسدًا فاقدًا للحياة.

لم يعرف رأفت لماذا لا تتصاعد صرخاته العالية إلا عندما تذكر وجود تلك الخرقة البالية بين أسنانه.

انتزعها وقد علت صرخاته المفزوعة وهو يركض متجهًا نحو السلم.

سقط قلبه من بين ضلوعه عندما رأى المانيكانات يصطفون حول الطريق كفريق للمشاة.

كاد رأفت أن يلطم وقد زادت صرخاته حتى بُحَّ صوته.

ما إن وصل إلى السلم حتى غامر بالالتفات والنظر خلفه ملتقطًا أنفاسه؛ ليجد المانيكانات يسدون الطريق أمام سيد، يحاولون عرقلته.

لم يكن لديه الوقت لمحاولة فهم ما يحدث، فأكمل صعوده إلى الطابق الثاني متجهًا نحو كابينة الكاشير.

اندفع نحو بابه مغلقًا إياه خلفه، وبدلًا من طلبه لرقم منزل موسى، يحاول طلب رقم الهاتف المحمول، وبصعوبة ينجح في تذكره.

بعد عدد من الرنات يأتيه صوت موسى.

- «آلو، رأفت؟ أهذا أنت؟ هل أنت بخير؟».

- «حسنًا موسى، لا أملك الكثير من الوقت الآن، إن ذلك السفاح يطاردني، ويبدو أنه بشكل ما المانيكانات تحاول مساعدتي». سأختبئ في المنطقة الترفيهية الخاصة بالأطفال في الدور الثاني.

- «لا تقلق.. نحن نحاول».

يقاطعة رأفت وقد سمع صوت خطوات السفاح تقترب.

- «موسى.. إنه قادم من أجلي.. اقتحم المول بأي شكل.. لا أريد أن أموت.. ليس اليوم.. ليس بتلك الطريقة».

يخرج رأفت من كابينة الكاشير راكضًا باتجاه المدينة الترفيهية، وفي أعقابه ظل لم يتبين إن كان واحدًا من المانيكانات أم السفاح، لكنه لن ينتظر ليتأكد.

أول الأبواب التي واجهته كانت بوابة بيت المرايا، تلك المتاهة المليئة بمرايا تظهرك في أشكالٍ وأحجامٍ مختلفة، وفقدت كل أهميتها منذ اختراع تطبيقات كاميرات الهواتف المحمولة؛ لكنها تصلح الآن للاختباء من سفاح هارب من الجحيم.

بمجرد أن يدخل رأفت المتاهة يضطر أن يتوقف عن

الركض، فهو يحتاج لأن يتفحص كل خطوة ليتأكد إن كان في مواجهة ممر أم مجرد انعكاس في مرآة.

من الخارج يظهر أن البيت مساحته ليست كبيرة؛ لكن بكل الخداع البصري الذي تصنعه عشرات المرايا يشعر أن مساحة المتاهة تفوق مساحة المنطقة الترفيهية كلها.

يتسرع رأفت في خطوة ليرتطم بمرآة خادعة، وحين يسمع صوتًا قادمًا من خلفه يجثو أرضًا سريعًا، وينظر من حوله ليرى في كم مرآة بالضبط تنعكس صورته.

في ثلاث مرايا على الأقل يرى حافة الساطور الدامي تظهر.

يهمس بعشرات اللعنات وهو يحاول أن يجد طريقة يختبئ بها خلف واحدة من تلك المرايا.

صوت تهشم مرآة يلتفت رأفت ليجد انعكاس الجزار يسد بأذنيه وقدميه تتقافزان على أجزاء من مرآة مهشمة في غضب.

يطمئن رأفت أنه على الأقل لم تكتسب تلك الروح الشريرة القدرة على التمييز بين الشخص الحقيقي والانعكاس في المرآة.

سيعاني مثله مثل رأفت في تحديد الحقيقة من الانعكاس.

صوت مرآة أخرى تتهشم، ثم أخرى، ثم أخرى...

يفكر رأفت أن تلك طريقة جيدة جدًا في الحقيقة لاختصار الوقت في المتاهة، كان عدد المرايا التي تحمل انعكاسه تقل كل ثانية، وقد شُلَّ تفكيير رأفت تمامًا.

لم يتبقَ أي حلول.

مرآتان أخرتان ولن تتبقى سوى المرآة الوحيدة أمامه التي تعكس جسده المسجى على الأرض.

تتباطئ خطوات الجزار وهو يقترب، وتتصاعد ضحكاته التي تشبه الفحيح، حتى يصير واقفًا فوقه تمامًا.

- أتعبتني أيها الخروف الشقي، أعتقد أنك استهلكت كل مخزونك من الأدرينالين.

يقولها وهو يرفع الساطور عاليًا.

- «وإن لم تفعل، فسأخاطر على أي حال».

يأتي صوت تهشم المرآة الأخيرة بجوار رأفت، ويشعر بيديه فولاذيتين تجره في سرعة من ياقة قميصه، يحتاج للحظات ليستوعب صراخ «موسى» في أذنيه أن يركض.

يلقي نظرة سريعة على الجزار ليجده يسد أذنيه جازًا على أسنانه في غضب قبل أن يرفعه موسى رفعًا ويدفعه للركض أمامه.

- «أنت هنا حقًا أنا لا أحلم!».

- «إني لأصف ما نمر به الآن على أنه كابوس، وليس حلمًا».

يدفع موسى رأفت مرة أخرى باتجاه ساحة السيارات المتصادمة، ويشير إلى ما يشبه خيمة صغيرة في ركنها.

يدخل رأفت الخيمة وينبطح أرضًا بجوار سيارتين تصادم يبدو أنهما وضعا في تلك الخيمة للصيانة، يتبعه موسى الذي ينزل على ركبتيه عن فوره ويهمس في سرعة: «هل استطعت تخمين نقطة ضعفه؟».

يرد رأفت في سرعة: «أفضل تخمين أستطيع أن أصل له الآن سيكون النباتية».

- «من الجيد أنك لا تزال قادرًا على إطلاق النكات».

- «من الجيد ألا أموت وحيدًا على الأقل».

- «سعيد بتفاؤلك!».

ثم يشير له بأن يكتم أنفاسه.

كان صوت خطوات الجزار جلية وصوته الهامس يمرمر بشيء غاضب.

كان صعبًا على رأفت وموسى كتمان أنفاسهما في وسط كل تلك الإثارة والمجهود الذي تعرَّض له جسديهما؛ لكنهما حاولا.

مرت دقائق يفتش فيها الجزار المنطقة الترفيهية، يسترق فيها الأنفاس كلما ابتعد عن مرمى السمع؛ لكنه كان يعود ليدور حولهما وكأنه يعرف موضعهما بالضبط وكأنه قط في لعبة سادية.

بالطبع كل هذا المجهود والحرمان من الأكسجين لإخفاء موقعهما انهارا في اللحظة التي صدرت نغمت هاتف موسى المحمول.

انطلق الجزار إلى داخل الخيمة شاهرًا ساطوره ليجد هاتف موسى ملقى أرضًا والخيمة خالية، ما لم ينتبه له الجزار أن الهاتف كان مفتوحًا على مكالمة دائرة بالفعل.

في الجانب الآخر من المدينة الترفيهية وخلف أجهزة تشغيل لعبة فناجين الشاي كان موسى ورأفت يتسللان مختبئين وموسى يقول لرأفت: «أترى الآن أهمية السماعات اللاسلكية؟».

لكمة في كتف موسى يوجهها رأفت قبل أن يهمس: «ما الذي تقوله لك؟».

عاد موسى لمكالمة زينب وهو يقول: «ماذا كانت نقطة الضعف التي توصلتما إليها؟».

زينب: «نحن غير متأكدين بالضبط؛ لكن أعتقد أنه شيء له علاقة بالضوضاء».

- «إذن أنت تريدين منا أن نفعل عكس ما نفعله بالضبط؟!».

- «وما الذي تفعلانه بالضبط؟».

- «نهمس ونتسلل زاحفين؛ لكني سأقوم حالًا بالوقوف والصراخ كطفل توقف عن التحكم في مثانته».

في سرعة تقول زينب: «لا لا.. توقف.. الصراخ وحده لا يكفي، يجب أن يتعرض لقدرٍ عالٍ من الضوضاء».

يشير له رأفت أن يشاركه المحادثة، فيقول له: «يجب أن نحدث قدرًا من الضوضاء».

فيشير له رأفت أن لديه فكرة؛ لكن عليه أن يجذب انتباه الجزار.

ممتعضًا يهمس موسى: «آتي لإنقاذك لتستخدمني كطعم».

قبل أن يقف ويبدأ في الركض مناديًا: «أنا هنا يا سيد هانيبال.. تعالى واقضم مؤخرتي».

ثم ينطلق في الاتجاه المعاكس.

يتحرك العجوز في اتجاهه في غضب، بينما ينتظر رأفت أن يمر الجزار من جانبه، ثم يتجه إلى غرفة التحكم.

يأتي صوت موسى قائلًا:

- «ذلك العجوز يتحرك بسرعة لا تناسب سنه».

ليأتي صوت العجوز:

- «أتناول الكثير من البروتين».

في تلك الأثناء يجرب رأفت كل المقابس محاولًا أن يشغل أكبر قدر من الألعاب حتى يصل إلى مقبس أخضر كبير فيبعث الحياة في مدينة الملاهي.

عدد من الألعاب يبدأ في الاستيقاظ مطلقًا أضواء مبهرة، يتبعها أصوات ليزر وموسيقى يخرج على إثرها رأفت من كابينة التشغيل وهو يصرخ:

- «هل نجح الأمر؟».

لكنه لم يحتج إلى رد.

كان «سيد» السفاح العجوز يظهر اختلال توازنه بشكل كبير، ومحاولته لسد أذنيه؛ لكنه بيمناه يلوح بالساطور الدام، لم تكن تلك الضوضاء كافية إذن.

ما العمل؟

كان موسى يصرخ بشيء لم يستطع رأفت تفسيره؛ لكنه افترض أنها تشكيلة من السباب تم توزيعها بينه وبين السفاح بطريقة عادلة.

ينطلق رأفت ناحية خيمة صيانة السيارات المتصادمة، داعيًا ربه أن يجد الهاتف هناك، ولحسن الحظ فإنه يجده على الأرض في مكانه.

ليتقطه سريعًا، ويتأكد من اتصاله بالإنترنت، ثم يهرع للخارج في اتجاه السفاح وموسى وهو يلوح بيده لموسى.

لا يستطيع موسى سماعه حتى يقترب ويصرخ: «اطرحه أرضًا».

لحظة واحدة فقط من الشك، قبل أن يومئ برأسه، وينطلق متخذًا وضعية الثور، في اتجاه الجزار الذي يتسمر في مكانه متفاجئًا من تغيير الأدوار، والهجوم المباغت.

يستغل موسى تلك الفرصة ويطرحه أرضًا كلاعب كرة

أمريكية محترف، وبينما يتجه موسى نحو يده التي تحمل الساطور مثبتًا إياهًا يتجه رأفت إلى أذن موسى ليسحب السماعاتين اللاسلكيتين ويضعهما في أذني الجزار، ثم يبدأ في تشغيل أعتى أغنية روك آند رول استطاع أن يجدها على الإنترنت، ثم يلقي بكامل وزنه على يد الجزار الأخرى ليمنعه من نزع السماعة الأخرى.

تأتي صرخات الجزار من عالمٍ آخر، فهي تملأ الأرجاء وكأن مصدرها مكان آخر غير الفم الفاغر أمامهم.

ورأسه تتحرك في جنون محاولًا نفض السماعات من أذنيه.

لم يكن كل ذلك ليطمئن رأفت وموسى حتى انفجرت مقلتي الجزار فجأة، وتوقف جسده عن الحركة، ثم انتقل جسده فجأة من الارتعاش إلى السكون، وتعالت رائحة الاحتراق ليصير كل ما تحت ملابس السفاح كتل من رماد.

تمر عدة دقائق قبل أن ينظر موسى لرأفت، ويقول له:

- «أعتقد أن الأمر انتهى».

ليرد رأفت:

- «ينتهي فقط حين أخرج من هنا».

-خاتمة-

بعد مرور ثلاثة أيام، جلس رأفت وموسى وزينب في مطعم عائلتها.

موسى: «وبالطبع لم تكن إدارة المركز ترغب في أن ينتشر معلومة أن أربعة من العاملين فيه قُتلوا بيد سفاح قادم من الجحيم، اعتاد أن يقتل رواد المركز التجاري منذ خمسة عشر عامًا، تنازلوا عن كل التهم الموجهة لك ولي، وبالطبع عوضوا أهالي الأمن بمبالغ كبيرة، وأخبروهم أنهم تعرضوا لحادث أثناء تعاملهم مع معدات ثقيلة.

لم يرد رأفت أن يتذكر حال جثث رجال الأمن المساكين التي تمت إهانتها والعبث بها؛ فأشاح بوجهه وكأنه يصد تلك الذكرى بعيدًا.

ليكمل موسى: «لكن في المقابل أيضًا يريدون التأكد من أن أرواح الضحايا التي يبدو أنها سكنت المانيكانات».

تساءل رأفت: «وكيف يمكننا أن نفعل ذلك؟».

قالت زينب متطوعة: «أعتقد أن تلك المانيكانات المسكونة لم تظهر إلا بعد أن عاد الجزار من الجحيم، ورحلت برحيله».

ثم نظرت زينب إلى كل من رأفت وموسى وهي تتساءل:

«نحن متأكدين من رحيله أليس كذلك؟!».

هز موسى رأسه: «نعم نحن متأكدين من ذلك.. آه، وبالمناسبة، أنتما تدينان لي بثلاثة آلاف جنيه، لن أتحمل وحدي ثمن السماعات الجديدة، ولست وحدي المسؤول عن أبواب الجحيم».

قالت زينب مدافعة: «لما علي أن أدفع! ألم يضع هو السماعات في أذنيه؟!».

يقول رأفت: «لا.. عليك أن تتحملي الخسائر مثلنا، لقد خسرت الكثير بسبب تلك اللعنة».

يبتسم موسى قائلًا: «أما أنا فقد اكتسبت انجذابًا غريبًا لموسيقى الروك آند رول».

- تمت -